أجاثا كريستي



Agatha Christie

الروايات
مبيعا

الكراهية القاتلة

دار الحياة
للنشر والتوزيع

(1)

مسدت ليلى مارجريف قفازيها على ركبتها بحركة عصبية ووجهت نظرة إلى الشخص الجالس على الكرسى الضخم أمامها كانت قد سمعت عن المفتش الشهير هيركيول بوارو، ولكن تلك كانت المرة الأولى التى تراه فيها شخصياً.

لقد أربكت هيئته المضحكة، بل حتى السخيفة، الصورة التى كانت فى مخيلتها عنه. فهل يمكن لهذا الرجل الضئيل المضحك برأسه البيضوى وشاربه الضخم أن يقوم فعلاً بتلك الأعمال الرائعة التى تُنسب إليه؟ كما أن التسلية التى شغل نفسه بها الآن بدت لها طفولية تماماً، إذ كان يكوّم مكعبات خشبية صغيرة ملونة بعضها فوق بعض، وبدا أنه يهتم بنتيجة هذا البناء أكثر من اهتمامه بالقصة التى كانت ترويها.

ومع ذلك فقد بادر صمتها المفاجئ بنظرة حادة قائلاً: أرجوك أن تستمرى يا آنسة، ولا تحسبى أننى لا أصغى إليك. تأكدى أننى أصغى إلى ما تقولين بكل انتباه.

ثم عاد ليكوّم مكعباته الخشبية بعضها فوق بعض بينما تابع صوت الفتاة فى رواية القصة، كانت قصة مروّعة من قصص العنف والمآسى، ومع ذلك كان صوت الفتاة هادئًا غير منفعل، وكان سردها للقصة موجزًا إلى الحد الذى بدا معه مفتقدًا للمسحة الإنسانية.

توقفت أخيرًا وقالت بلهفة: أرجو أن أكون قد وضّحت لك كل شىء؟

هز بوارو رأسه عدة مرات بالإيجاب، ثم طوّحَ بيده المكعبات الخشبية التى تناثرت على الطاولة، واتكأ بظهره على الكرسى وهو يفرك أصابعه ونظره معلق بالسقف، وبدأ يعيد تلخيص القصة: لقد قُتل السير روبن آستويل منذ عشرة أيام، ثم اعتقبته الشرطة التى اجتمعت ضده فهى حسب معلوماتك (وأرجو أن تصحّحى لى آنستى إذا أخطأت) أن السير روبن كان ساهرًا يكتب فى معتزله الخاص المسمى غرفة البرج، ثم أتى السيد ليفرسن متأخرًا ودخل مستعملاً مفتاح مزلاج. وقد سمعه الأول وهو يتشاجر مع خاله إذ كانت غرفته تحت غرفة البرج تمامًا، وانتهى الشجار بصوت ارتطام كأنه صوت رمى كرسى أعقبته صرخة مكتومة. ذُعرَ النادل وفكّر بالنهوض ليتبين

حقيقة الأمر، ولكنه سمع بعد ثوان صوت السيد ليفيرسن يغادر الغرفة بمرح وهو يصفر بعض الألحان، فأقلع عن التفكير بالمسألة. وفى صباح اليوم التالى وجدت إحدى الخادمات السير روبن ميتًا قرب مكتبه، وكان قد ضُرب على رأسه بأداة ثقيلة. وكما فهمت فإن النادل لم يخبر الشرطة فورًا بما سمعه... هذا طبيعى كما أعتقد. ماذا ترين أنت يا آنسة؟

جفلت ليلى ماورجريف من السؤال المفاجئ فقالت: عفوًا، ماذا قلت؟

- إن المرء يبحث عن الاعتبارات الإنسانية فى مثل هذه القضايا، أليس كذلك؟ إن سردك للقصة كان رائعًا ومختصرًا إلى الحد الذى جعلت فيه من أبطال هذه الدراما آلات أو دمى، أما أنا فأبحث دومًا عن الطبيعية البشرية. أقول لنفسى مثلاً: إن هذا النادل ماذا قلت اسمه؟

- اسمه بارسونز.

- لابد أن بارسونز هذا يتمتع بالصفات التى تميز طبقته، لابد أن يعارض الشرطة بشدة ولا يخبرهم إلا بأقل ما يستطيعه. وقبل هذا كله فإنه لن يبوح بشىء يمكن أن يؤدى إلى تجريم

أحد أفراد الأسرة التى يخدمها. سوف يتمسك بكل ما أوتى من قوة وعناد بفكرة أن دخيلاً أو لصًا هو الجانى. نعم، إن ولاء طبقة الخدم يشكّل موضوعًا ممتعًا للدراسة.

اتكأ إلى الخلف مبتسمًا، ثم تابع: وفى أثناء ذلك أدلى كل مَن فى المنزل بشهادته، ومنهم السيد ليفيرسن الذى قال إنه عاد متأخرًا وذهب إلى سريره دون رؤية خاله.

ـ هذا ما قاله.

ـ وما من أحد رأى سببًا للشك فى كلامه، سوى بارسونز طبعًا. ثم أتى محقق من شرطة اسكتلنديارد... قلت إن اسم المحقق هو ميلر، أليس كذلك؟ أظن أننى أعرفه، لقد قابلته مرة أو مرتين فى الماضى. إنه رجل صارم كما يُقال، دؤوب ومراوغ. نعم، أعرفه.

وبالطبع فقد رأى المحقق ميلر ما لم تره الشرطة المحلية، وهو أن بارسونز قلقٌ ومضطرب ويعرف شيئًا لم يُبح به، فقام بالتركيز عليه. كان من الواضح تمامًا أن أحدًا لم يقتحم المنزل فى تلك الليلة، وأن البحث عن القاتل ينبغى أن يتم داخل البيت لا خارجه. وكان بارسونز حزينًا وخائفًا، وأحسّ بأنه سيشعر بالارتياح إذا خرج ذلك السرّ من صدره، فها هو قد قام بذلك كل

ما بوسعه لتجنب الفضيحة، ولكنّ لكل شىء حدًا. وهكذا استمع المحقق ميلر لقصة بارسونز وسأل سؤالاً أو اثنين، ثم أجرى بعض التحريات الخاصة بحيث ظهرت له القضية التى بناها قوية جدًا... نعم، قوية جدًا. كانت هناك آثار أصابع ملطَّخة الدماء على زاوية الخزانة فى غرفة البرج، وكانت مطابقة لبصمات تشارلز ليفرسن. كما أخبرت الخادمة المحقق ميلر أنها وجدت فى غرفة السيد ليفيرسن فى صباح اليوم التالى للجريمة وعاءٌ فيه ماء اصطبغ بالدم، وأن ليفرسن فسّر ذلك بأنه قد جرح إصبعه. وكان فى إصبعه جرح صغير بالفعل، ولكنه صغير جدًا! وكان سوار كمّ قميصه قد غُسل، ولكنهم وجدوا بقع دم على كُم معطفه. كما أن ليفرسن كان بحاجة ماسة إلى المال، وكان سيرثُ مالاً بسبب موت السير روبن. آه، نعم، إنها قضية قوية وواضحة يا آنسة.

صمت قليلاً ثم قال: ومع ذلك فقد أتيتنى اليوم!

هزّت ليلى مارجريت كتفيها النحيلتين قائلة: أخبرتك ـ يا سيد بوارو ـ أن الليدى آستويل هى التى أرسلتنى.

ـ أى أنك ما كنت لتأتى طواعية، أليس كذلك؟

نظر إليها نظرة قاسية، ولكنها لم تجب عن سؤاله.



ـ لم تجيبى عن سؤالى.

بدأت ليلى مارجريف بتمسيد قفازيها ثانية، ثم قالت: إنه لأمر صعب يا سيد بوارو. علىّ أن أراعى ولائى لليدى آستويل؛ فأنا لا أعدو أن أكون مرافقة مدفوعًا أجرها فى الواقع، وإن كانت قد عاملتنى ـ دائمًا ـ كما لو كنت ابنتها أو ابنة أخيها. كانت كريمة معى بشكل لا مثيل له، ومهما كانت أخطاؤها فإننى لا أريد الظهور بمظهر من ينتقد أفعالها أو... أو من يريد التأثير فيك لصرفك عن تولى القضية.

ـ من المستحيل التأثير فى هيركيول بوارو؛ هذا ما لا يمكن أن يحدث.

قالها بوارو بنشوة وأضاف: أراك تعتقدين أن لدى الليدى آستويل أمرًا يدفعها إلى هذا التصرف. هيا... أليس هذا هو الأمر؟

ـ كيف لى أن أقول؟

ـ تكلمى يا آنستى.

ـ أعتقد أن الأمر سخيف برمّته.

ـ أهذا ما تشعرين به؟



ـ لا أريد أن أقول شيئًا بحق الليدى آستويل.

تمتم بوارو بلطف: إننى أفهم وضعك تمامًا.

ولكن عينيه شجعناها على الاستمرار، فمضت قائلة: إنها من النوع الطيب جدًا بالفعل، وهى لطيفة بدرجة كبيرة ولكنها ليست... كيف أعبّر عن ذلك؟ ليست امرأة متعلمة. لعلك تعرف أنها كانت ممثلة عندما تزوجها السير روبن، وكانت تحمل كل أنواع الخرافات والتعصّب والأفكار المسبقة، فإذا قالت شيئًا فيجب أن يكون كما قالت، وهى لاتصغى إلى صوت العقل. لم يكن المحقق لبقًا معها، وذلك ما استفزّها وأعادها إلى طبيعتها القديمة، فهى تقول إن من السخافة التشكيك بالسيد لفيرسن وإن هذا التشكيك من الأخطاء البلهاء الغبية التى يقع الشرطة فيها، وقالت إن عزيزها تشارلز لم يفعلها بالطبع.

ـ أليست لا أسباب لذلك؟

ـ أبدًا، ولا سبب.

ـ أكيد! هكذا هو الأمر؟ أخبرينى حقًا.

ـ لقد قلت لها إنه ليس من المناسب أن آتى إليك وليس عندى سوى تصريحها ذاك، ودون أى دليل يمكن الانطلاق منه.



ـ قلت لها ذلك؟ هل قلته حقًا؟ هذا جيد.

وارتفعت عيناه إلى ليلى مارجريف فى نظرة شمولية متفحّصة سريعة، رأى فيها بدلتها السوداء الأنيقة وقبعتها الجميلة، رأى أناقتها ووجها الجميل ذا الذقن المدبب وعينها عميقتى الزرقة برموشها الطويلة. وبلا وعى منه تغير موقفه، فطغى اهتمامه الآنىّ بالفتاة الجالسة أمامه على اهتمامه بالقضية.

أخيرًا: تبدو الليدى آستويل ـ كما أتخيلها يا آنسة ـ مجرد امرأة تافهة يغلب عليها عدم الاتزان.

ـ هذا هو وصفها بالضبط: إنها لطيفة جدًا كما قلت لك، ولكن الحوار معها مستحيل، كما أنه يستحيل على المرء أن يحملها على النظر إلى الأشياء بمنطقية.

ـ ربما كانت تشك فى شخص ما، شخص تافه.

صاحت ليلى: هذا هو ما تفعله تمامًا؛ فهى تحسّ بكراهية فظيعة تجاه ذلك الرجل المسكين، سكرتير السير روبن، وتقول إنها على يقين من أنه هو الذى ارتكب الجريمة. ومع ذلك فقد ثبت بشكل قاطع أن المسكين أوبن تريفوسيس لم يكن بإمكانه أن يرتكب الجريمة.



ـ وهل لديها أسباب تدفعها إلى هذا اليقين؟

ـ طبعًا لا، إنه حدسُها ليس غير.

كان صوت ليلى مارجريف مليئًا بالاحتقار. ابتسم بوارو وقال: أفهم من ذلك أنك لا تؤمنين بالحدس يا آنسة؟

ـ أرى أنه ليس سوى هُراء.

أسند بوارو ظهره إلى مسند كرسيه من جديد متمتمًا: يا للنساء! يحلو لهن الاعتقاد بأن الحدس سلاحٌ خاص وهبته لنا العناية الإلهية، ولكنه يضللهن تسع مرات على الأقل مقابل كل مرة يهديهن فيها إلى الصواب.

ـ هذا صحيح، ولكننى قلت لك ما هى طبيعة الليدى آستويل. ببساطة: لا يمكنك الحوار معها.

ـ ولذلك فقد أتيت أنت، العاقلة الحكيمة، أتيت إلىّ كما طُلب منك واستطعت أن تضعينى فى مجرى القضية.

شىء ما فى نبرة صوته جعلها تنظر إليه بحدة. ثم قالت معتذرة بالطبع أنا أعلم كم هو ثمين وقتك.

ـ هذا لطف كبير منك يا آنسة. فى الحقيقة أنت مصيبة فى ذلك، ففى هذا الوقت بالذات توجد بين يدىّ قضايا كثيرة ذات أهمية.

قالت وهى تنهض: ظننت ذلك، سأخبر الليدى آستويل...

ولكن بوارو لم ينهض، بل استرخى فى مقعده إلى الخلف ونظر بثبات إلى الفتاة، ثم قال: هل تتعجلين الذهاب يا آنستى؟ اجلسى دقيقة بعدُ، أرجوك.

رأى الدماء تندفع إلى وجهها ثم تنقشع، وجلست ثانية ببطء ودون رغبة.

قال بوارو: إن الآنسة سريعة وحاسمة، ولكن كان عليها أن تسامح عجوزًا مثلى يأخذ قراراته ببطء. لقد أسأت فهمى يا آنسة، فأنا لم أقل إننى لن أذهب لرؤية الليدى آستويل.

ـ هل ستأتى إذن؟

كانت نبرتها باهتة، ولم تكن تنظر إليه بل إلى الأرض، ولذلك لم تنته إلى التدقيق الحادّ بدا عليه وهو ينظر إليها.

ـ أخبرى الليدى آستويل ـ يا آنسة ـ أننى أضع نفسى كليًا فى خدمتها، وسأكون بعد ظهر اليوم فى مون ريبور، أليس هذا هو اسم المنزل؟

نهض فنهضت الفتاة قائلة: إننى.. حسنًا، سأخبرها. كم هو لطيف منك أن تأتى ياسيد بوارو، مع أننى أخشى أن تكتشف أن إنما دُعيت إلى مهمة تشبه مطاردة الوزّ البرى.

ـ هذا ممكن، ولكن... من يدرى؟

رافقها إلى الباب من قبيل المجاملة، ثم عاد إلى غرفته مقطبًا حاجبيه غارقًا فى التفكير. هزّ رأسه مرة أو مرتين ثم فتح باب الغرفة ونادى خادمه: عزيزى جورج، أرجوك أن تحضّر لى حقيبة سفر صغيره، فسوف أذهب إلى الريف اليوم.

ـ حسنًا يا سيدى.

كان جورج شخصًا ذا شكل إنجليزى حقيقى؛ طويلاً وشاحبًا وخاليًا من العواطف.

قال بوارو وهو يرتمى فى كرسيّه ثانية: إن الفتيات يشكّلن ظاهرة مثيرة يا جورج، ولا سيماإذا كانت الواحدة منهن ذات عقل وذكاء. فإن تطلب من شخص أن يفعل أمرًا ما فى الوقت الذى تنفّره منه... إنه لأمر حساس يتطلب الكثير من الذكاء والدهاء. لقد كانت بارعة جدًا، نعم، بارعة جدًا... ولكن هيركيول بوارو ـ يا عزيزى جورج ـ ذو ذكاء خارق تمامًا.

ـ لقد سمعتُك تقول ذلك.

ـ إن ما كانت تفكر فيه لم يكن سكرتير روبن، فقد تعاملت باحتقار مع اتهام الليدى آستويل له، وكانت حريصة ـ فى



الوقت نفسه ـ على أن لا يُقدم أحدٌ على إزعاج الكلاب النائمة. ولكنني سأذهب لإزعاج تلك الكلاب يا عزيزي جورج، بل لأحملها على الاقتتال! إن في مون ريبوز قصة مثيرة، هناك دراما إنسانية تثيرني. لقد كانت هذه الطفلة بارعة، ولكنها لم تكن بارعة بما فيه الكفاية، إني لأتساءل:ما الذي سأكتشفه هناك؟

ساد صمت مثير بعد هذه الكلمات لم يقطعه إلا صوت جورج الذي قال وكأنه يعتذر: هل أضع في حقيبتك ملابس رسمية يا سيدي؟

نظر بوارو إليه بحزن قائلاً: ما أحسن تركيزك وانتباهك لعملك! إنك تناسبني تمامًا يا جورج.

عندما توقف قطار الخامسة إلا خمس دقائق في محطة أبوتز كروس نزل منه هيركيول بوارو بكامل أناقته، وقد شمّعَ شاربيه حتى التيبّس. سلّم تذكرته وعبر الحاجز ليرى سائقًا يبادره بالقول:

ـ السيد بوارو؟

ابتسم له بوارو وقال: هذا هو اسمي.



فتح السائق باب سيارة الرولز رويس وقال: تفضل من هنا ياسيدي.

وكان البيت على بعد ثلاث دقائق فقط من المحطة، وهناك نزل السائق ثانية وفتح باب السيارة لينزل بوارو ويجد النادل وقد وقف فاتحًا له البوابة الأمامية.

تأمّل بوارو بسرعة واستحسان الواجهة الخارجية للمنزل قبل أن يعبر الباب المفتوح. كان بيتًا ضخمًا مبنيًا من الآجر الأحمر لا يميل إلى الجمال بقدر ما يُشيع شعورًا بالراحة الحقيقية.

دخل بوارو إلى الصالة حيث تناول النادل قبعته ومعطفه برشاقة وهو يتمتم بتلك النبرة المنخفضة المؤدّبة التي لا يكتسبها إلا أفضل الخدم قائلاً: سعادتها بانتظارك يا سيدي.

تبع بوارو النادل على الدرج المفروش بالسجاد الناعم. كان هذا هو بارسونز بلا شك. إنه خادم مُتمرس تمامًا، ذو أسلوب مناسب خال من العاطفة. انعطف في أعلى الدرج يمينًا ومشى في ممر حيث دخل من أحد الأبواب إلى غرفة انتظار صغيرة فيها بابان يُفضيان إلى غرف أخرى، ثم فتح الباب الواقع إلى يساره معلنًا: السيد بوارو ياسيدتي.



تبع بوارو النادل على الدرج المفروش بالسجاد الناعم. كان هذا هو بارسونز بلا شك. إنه خادم مُتمرس تمامًا، ذو أسلوب مناسب خال من العاطفة.

لم تكن الغرفة بالغة الضخامة ولكنها كانت مزدحمة بالأثاث والتحف، ونهضت إمرأة تلبس السواد فتقدّمت من بوارو بسرعة قائلة وقد مدّت يدها: سيد بوارو.

وبسرعة سبرت عيناها تلك الهيئة المتأنقة، وتوقفت قليلاً متجاهلة انحناءه الرجل الضئيل أمامها وتمتمته قائلاً: «سيدتى»، ثم تركت يده بعد أن ضغطت عليها بقوة وهى تقول: إننى أؤمن بالرجال ذوى الأجسام الضئيلة، فهم الرجال الأذكياء عادة.

- ولكن المحقق ميلر رجل طويل فيما أظن؟

- إنه دعىّ أبله. اجلس هنا بجانبى لو سمحت.

أشارت إلى الأريكة، ومضت قائلة: لقد بذلت ليلى كل ما بوسعها لتثنينى عن دعوتك، ولكننى لم أبلغ هذا العمر إلا وأعرف ما أريد تمامًا.

علّق بوارو وهو يتبعها على الأريكة قائلاً: وهذا إنجاز نادر.



جلست الليدى آستويل بارتياح بين الوسائد ثم التفتت لتواجهه وقالت: إن ليلى فتاة عزيزة علىّ، ولكنها تعتقد أنها تعلم كل شىء، وخبرتى تقول لى إن أناسًا من هذا النوع يكونون غالبًا على خطأ أنا لست ذكية - يا سيد بوارو - ولم أكن ذكية، ولكننى أكون على حق عندما يكون كثير من الأغبياء على خطأ. إننى أؤمن بالحدس. هل تريد منى الآن أن أخبرك مَن من القاتل أم لا تريد؟ إن المرأة تعرف ياسيد بوارو.

- وهل تعرف الآنسة مارجريف؟

سألته بنبرة حادة: ماذا قالت لك؟

- لقد أعطتنى وقائع القضية.

- الوقائع؟ آه، وكانت تلك الوقائع ضدّ تشارلز تمامًا بالطبع؟ ولكننى أقول لك ياسيد بوارو: إنه لم يرتكب الجريمة؟ أنا أعرف أنه لم يرتكبها.

خاطبته بجدية تبعث على القلق.

- أأنت واثقة تمامًا يا ليدى آستويل؟

- تريفوسيس هو الذى قتل زوجى يا سيد بوارو، أنا واثقة من ذلك.



ـ لماذا؟

ـ هل تعنى لماذا قتله أم لماذا أكون واثقة؟ لقد قلت لك إننى أعرف ذلك! إننى مضحكة فى مثل هذه الأمور، فأنا أبنى قناعتى بسرعة ثم أثْبتُ عليها.

ـ وهل يستفيد السيد تريفوسيس من موت السير روبن بأية طريقة؟

وأجابت بحزم: لم يترك له قرشًا واحدًا، وهذا ما يُظهر لك أن روبن لم يكن ليحبّه أو ليثق به.

ـ فهل عمل لفترة طويلة مع السير روبن إذن؟

ـ ما يقرب من تسع سنوات.

قال بوارو بهدوء: إنه وقت طويل، وقت طويل جدًا فى العمل مع شخص واحد. نعم، لقد كان من شأن تريفوسيس أن يعرف رئيسه بشكل جيد.

حدّقت الليدى آستويل إليه ثم سألته: ما الذى ترمى إليه؟ إننى لا أرى علاقة لذلك بالقضية.

ـ كنت أتابع فكرة بسيطة خاصة بى، فكرة صغيرة ربما لا تكون مثيرة للاهتمام، ولكنها طريقة مبتكرة، وهى تخص تأثير



الخدمة فى الناس.

قالت الليدى آستويل وهى ما تزال تحدق إليه وفى صوتها نبرة شك: إنك ذكى جدًا بالفعل، أليس كذلك؟ الكل يؤيد هذا.

ضحك بوارو قائلاً: ربما أثنيت علىّ أنت أيضًا فى يوم ما يا سيدتى. ولكن لنعد إلى الدافع؛ أخبرينى الآن عن نزلاء بيتك، عن الناس الذين كانوا هنا فى البيت يوم وقعت المأساة.

ـ كان تشارلز هنا طبعًا...

ـ تشارلز هو ابن أخت زوجك كما فهمت، وليس ابن أختك أنت.

ـ نعم، إنه الابن الوحيد لشقيقة روبن، وكانت قد تزوجت رجلاً غنيًا نوعًا ما، ولكن وقع حادث اصطدام (كما يحدث فى المدينة دومًا) فتوفى وتوفيت زوجته أيضًا، وجاء تشارلز ليعيش معنا، وكان وقتها فى الثالثة من عمره يدرس ليصبح محاميًا، ولكن عندما وقت الحادث أخذه روبن وضمّه إلى مكتبه.

ـ وهل كان تشارلز مُجِدًا فى عمله؟

ـ إننى أحب الرجل سريع الفهم. ولكن تشارلز لم يكن مجدًا، وكانت المشكلة تكمن فى هذه النقطة، إذ كثيرًا ما كان يتشاجر مع



خاله بسبب الفوضى فى عمله. ولكن ذلك لم يكن ليعنى أن المسكين روبن هو شخص يسهل التعامل معه أيضًا؛ لقد قلت له مرارًا إنه نسى ماذا يعنى أن يكون المرء شابًا ونسى شبابه نفسه. لقد كان مختلفًا تمامًا فى تلك الأيام يا سيد بوارو.

تنهدت الليدى آستويل وهى تتابع خيط ذكرياتها، فقال بوارو: التغير لابد منه، إنه قانون الحياة.

- ولكنه لم يكن فظًا معى أبدًا. حتى فى المرات القليلة التى كان فظًا فيها معى كان يعتذر بعدها... عزيزى المسكين روبن!

- لقد كان صعب المراس، أليس كذلك؟

- كان بوسعى أن أتدبر أمره دومًا.

قالت ذلك بلهجة مروّضة أسود ناجحة، ثم أضافت: ولكن الأمر كان مزعجًا أحيانًا عندما يفقد أعصابه مع الخدم. توجد طرق ناجحة للتعامل مع الخدم، ولكن طريقته لم تكن صحيحة.

- كيف قُسِّمت الأموال التى تركها السير روبن يا سيدتى؟

- تصف لى ونصف لتشارلز.

قالت ذلك على الفور، ثم أضافت: لا يقدّم المحامون المسألة بهذه البساطة، ولكن هذا هو ما حدث للتركة باختصار.



هزّ بوارو رأسه متمتمًا: نعم، نعم، والآن أريد منك أن تصفى لى نزلاء البيت يالليدى آستويل. كان فيه - بالإضافة إليك - ابن أخت السير روبن السيد تشارلز ليفيرسن، وسكرتيره السيد أوين تريفوسيس، والآنسة ليلى مارجريف. هلاً حدثتنى قليلاً عن تلك الفتاة.

- تريد أن تعرف شيئًا عن ليلى؟

- نعم، هل ترافقك منذ فترة طويلة؟

- منذ نحو سنة. لقد بدّلت كثيرًا من المرافقات لأنهن جميعًا أثرن أعصابى بطريقة أو بأخرى، أما ليلى فقد كانت مختلفة عنهن؛ كان لبقة وحصيفة الرأى، وفوق ذلك كله ذات مظهر جميل جدًا، وأنا أحب أن أرى بقربى وجهًا جميلاً يا سيد بوارو. أنا شخصية عجيبة أحب وأكره فورًا ومباشرة، وقد قلت لنفسى إن تلك الفتاة ستناسبنى فور رؤيتى لها.

- هل جاءتك بتوصية من أصدقائك لك يا ليدى آستويل؟

- أظن أنها جاءت استجابة لإعلان... نعم، استجابة لإعلان.

- هل تعلمين شيئًا عن عائلتها، ومن أين هى؟



ـ أظن أن والديها فى الهند. لا أعرف كثيرًا عنهما فى الواقع، ولكن يمكنك أن تُميز بنظرة واحدة أنها سيدة فعلاً. أليس كذلك يا سيد بوارو؟

ـ آه، تمامًا، بالطبع.

ـ طبعًا أنا نفسى لست سيدة، وأنا أعرف ذلك والخدم يعرفون ذلك، ولكن من دناءة طبيعتى أستطيع تقدير الأشياء الحقيقية عندما أراها. كما أنه ما من شخص كان أكثر لطفًا بى من ليلى، ولذلك فإننى أنظر إلى تلك الفتاة كما لو كانت ابنتى يا سيد بوارو.

امتدت يد بوارو اليمنى فعدلت من وضع واحد أو اثنين من الأشياء المصفُّفة على الطاولة المجاورة. ثم سألها: وهل كان السير روبن يشاركك الشعور نفسه؟

كان عيناه مركّزتين على التحف الصغيرة، ولكنه لاحظ بوضوح الصمت الذى سبق جوابها. قالت: الأمر مختلف مع الرجال. طبعًا كانا.. كانا متعايشين بشكل جيد.

ـ شكرًا يا سيدتى.



قالها بوارو وهو يبتسم لنفسه، ثم أضاف: وهل كان أولئك فقط كل مَن كان فى المنزل تلك الليلة، باستثناء الخدم طبعًا؟

ـ آه، كان فكتور موجودًا أيضًا.

ـ فكتور؟

ـ نعم، شقيق زوجى وشريكه.

ـ وهل يعيش معكم؟

ـ لا؛ لقد جاء مؤخرًا فى زيارة من غرب إفريقيا، حيث يعيش منذ بضع سنوات.

ـ غرب إفريقيا.

تمتم بذلك مدركًا بأن الليدى آستويل يمكن أن تسترسل فى الموضوع فيما لو مُنحت الوقت الكافى.

ـ يقولون إنها بلاد رائعة، ولكننى أحسبها من تلك الأماكن التى تترك أسوأ الأثر فى الرجل؛ فالعائدون من هناك يشربون كثيرًا حتى يفقدوا سيطرتهم. ما من أحد من عائلة آستويل يمتلك أعصابًا هادئة، وقد بدا سلوك فكتور مستهجنًا منذ عودته من إفريقيا... لقد أفزعنى مرة أو مرتين.



ـ عجبًا! هل أفزع الآنسة مارجريف أيضًا يا ترى؟

ـ ليلى؟ لا أعتقد أنها رأت منه الكثير.

دوّن بوارو ملاحظة أو اثنتين فى دفتره الصغير، ثم أعاد القلم إلى مكانه ودفتر الملاحظات إلى جيبه وقال: أشكرك ياليدى آستويل، وأريد الآن ـ لو سمحت ـ أن أقابل بارسونز.

ـ هل تريده هنا؟

امتدت يدها نحو الجرس، ولكن بوارو أوقف حركتها قائلاً: لا، لا وألف لا؛ سأذهب أنا إليه.

لا شكّ أن الليدى آستويل قد أصيبت بخيبة أمل لعدم قدرتها على المشاركة فى المشهد القادم، فقد كان بوارو يتصنع السرية وهو يقول: إن هذا ضرورى جدًا.

قالها بأسلوب غامض تاركًا الليدى آستويل لدهشتها.



وجد النادل بارسونز فى حجرة الأوانى يلمّع الفضيات، فافتتح بوارو المقابلة بواحدة من انحناءاته الصغيرة المضحكة. ثم قال: ينبغى لى أن أقدم نفسى. أنا رجل تحرّ خاص.



ـ نعم يا سيدى، لقد علمنا بذلك.

كانت نبرته تنمّ عن الاحترام، ولكنها حيادية.

ـ أرسلت الليدى آسويل فى طلبى، إذ أنها غير راضية، بل غير راضية أبدًا.

ـ سمعت سعادتها تقول ذلك فى مناسبات عديدة.

ـ فى الحقيقة أستطيع أن أعيد على مسمعى الأشياء التى تعرفها أصلاً. دعنا لا نضيّع وقتنا ـ إذن ـ فى الأشياء التافهة؛ لو تكرمت خذنى إلى غرفة نومك وأخبرنى بالضبط ما هو الذى سمعته هناك ليلة الجريمة.

كانت غرفة النادل فى الطابق الأرضى ملحقة بقاعة الخدم، وقد كانت نوافذ القاعة مزوّدة بمشابك حديدية وغرفته الحصينة فى زاويتها.

أشار بارسونز إلى السرير الضيق وقال: كنت قد عدت إلى غرفتى فى الساعة الحادية عشرة، وكانت الآنسة مارجريف قد أوت إلى فراشها بينما كانت الليدى آستويل مع السير روبن فى غرفة البرج.

ـ الليدى آستويل كانت مع السير روبن؟ نعم، استمر.

ـ غرفة البرج تقع فوق هذه الغرفة تمامًا يا سيدى، وإذا كان أشخاص يتكلمون فيها فبوسع المرء أن يسمع همهمة الأصوات، ولكن لا يمكن فهمُ أى شىء مما يقال بالطبع. استولى علىَّ النوم فى نحو الحادية عشرة والنصف على الأغلب، وفى تمام الثانية عشرة استيقظت على صوت الباب الأمامى يُصفق، فعلمت أن السيد ليفرسن قد عاد. ثم ما لبثت أن سمعت وقع فوقى، وبعد دقيقة أو اثنتين سمعت صوت السيد ليفيرسن يتحدث مع السير روبن. وقد تخيلت وقتها بأن السيد ليفيرسن كان... لا أريد أن أقول إنه كان ثملاً، ولكنه كان غير متوازن وعالى الصوت وكثير الجلبة. كان يصيح بخاله بأعلى صوته، والتقطت أذناى كلمة أو كلمتين هنا وهناك ولكن ليس بما يكفى لفهم ما يدور بينهما، ثم أعقب ذلك صيحة حادة فارتطام عنيف.

سادت لحظات صمت، ثم كرَّر بارسونز الكلمات الأخيرة بشكل مؤثِّر: ارتطام عنيف.

تدخَّل بوارو قليلاً فى مجرى الحديث ثم أردف باعتذار مصطنع: أنا أسفٌ جدًا لتدخلى.

ـ لا عليك ياسيدى. بعد الارتطام ساد صمتٌ قطعه صوتُ السيد ليفيرسن بوضوح تام يرتفع قائلاً: «يا إلهى»... قالها هكذا يا سيدى: «يا إلهى».

وهكذا تطور بارسونز من تردده السابق فى رواية القصة إلى استمتاع حقيقى بذلك، وقد ذهب بعيدًا فى تخيل نفسه كراو محترف، وشجَّعه بوارو على المضى قدمًا بقوله: يا إلهى، لقد انتابتك مشاعر فظيعة بالتأكيد!

ـ بالتأكيد ياسيدى، تمامًا كما قلت ياسيدى. ومع أنى لم أعر الأمر اهتمامًا كبيرًا حينذاك إلا أنه خطر فى بالى أن أتساءَل إن كان قد حدث شىء. وفكرت بالخروج للتأكد، فذهبت لأشعل الضوء ولكنى تعثرت بكرسى لسوء حظى، وبعد ذلك فتحت باب غرفتى وعبرت صالة الخدم وفتحت بابًا آخر يطلّ على الممر حيث الدرج الخلفى. وهناك وقفت أسفل الدرج مترددًا حتى سمعت صوت السيد ليفيرسن يتكلم من الأعلى بكل ودٍّ ومرح. قال: «لم يقع أى أذى لحسن الحظ، ليلة سعيدة». ثم سمعته يقطع الممر إلى غرفته وهو يصفِّر. وقد عدت بعدها إلى سريرى وأنا أحسب أن شيئًا ما قد وقع. بالله عليك يا سيدى، هل كان علىَّ أن أشك فى أن السير روبن قد قُتل وأنا أسمع السيد ليفرسن يقول «ليلة سعيدة» ويتصرف بشكل طبيعى؟

ـ هل أنت متأكد أن ما سمعتَهُ كان صوت السيد ليفيرسن؟

نظر بارسونز إلى البلجيكى الضئيل بإشفاق، فتأكد لبوارو بوضوح أن بارسونز قد قرّ قراره بهذا الشأن، سواء أكان ذلك صحيحًا أم خاطئًا.

ـ هل تريد أن تسألنى عن أى شىء ليفيرسن؟

ـ عفوًا،لم... أسمعك يا سيدى.

ـ إنه سؤال بسيط؛ هل تحب السيد ليفيرسن؟

تحول بارسونز من رجل مذعور فى البداية إلى رجل مُحرَج، ثم قال: إن الرأى العام فى صالة الخدم يا سيدى...

ثم سكت، فقال له بوارو: مهما يكن الأمر، قل رأيك بهذه الطريقة إذا أحببت.

ـ إن الرأى العام ياسيدى هو أن السيد ليفرسن شاب كريم، ولكنه ليس ذكيًا بشكل خاص... إن كان لى أن أقول ذلك.

ـ آه، هل تعلم يا بارسونز بأن ذلك هو رأيى بالسيد ليفيرسن تمامًا؟ ولو أننى لم أره.

ـ حقًا يا سيدى؟

ـ نعم. حسنًا، وما هو رأيك، عفوًا، أعنى ما هو رأى صالة الخدم بالسكرتير؟

ـ إنه رجل هادئ جدًا وصبور وحريص على عدم إثارة المشكلات.

ـ حقًا؟

سعل النادل ثم تمتم قائلاً: إن سعادتها تميل إلى التسرع فى أحكامها أحيانًا ياسيدى.

ـ إذن فإن صالة الخدم تظن أن السيد ليفرسن هو الذى ارتكب الجريمة؟

ـ ليس فينا من يتمنى أن يكون له هذا الرأى، ونحن... بصراحة نحن لا نعتقد أن طبيعته تميل إلى الجريمة يا سيدى.

ـ ولكنه ذو مزاج عنيف بعض الشىء، أليس كذلك؟

اقترب منه بارسونز وهمس قائلاً: إن كنت تسألنى عن صاحب أعنف مزاج فى هذا المنزل...

أوقفه بوارو بإشارة من يده قائلاً: آه، ليس هذا هو السؤال الذى أودّ أن أسأله. سؤالى هو: من هو صاحب ألطف مزاج؟

حدق به بارسونز وقد فغر فاه!

●●●

(2)

لم يضيّع بوارو مزيدًا من الوقت مع بارسونز، بل ودّعه بانحناءة ودية (فقد كان ودودًا دائمًا) وغادر الغرف إلى الصالة المربعة الكبرى لمنزل مون ريبوز، حيث وقف برهة يفكر ومال برأسه كما يفعل عصفور الحنّاء الجذل، وأخيرًا عبر بخطوات خفيفة أحد الأبواب المفضية إلى خارج الصالة.

وقف بالباب متأملاً الغرفة الصغيرة التى جعلت مكتبة. كان يجلس فى طرفها الآخر على مكتب ضخم شاب شاحب نحيل ضامر الذقن يضع على أنفه نظارة قديمة الطراز. راقبه بوارو بضع دقائق وهو منخرط بالكتابة، ثم أعلن عن نفسه بسعلة مسرحية مفتعلة.

توقف الشاب المنكبّ على المكتب عن الكتابة والتفت ليرى بوارو الذى تقدم بانحناءته المعهودة قائلاً: أعتقد أننى أتشرف بالحديث مع السيد تريفوسيس، أليس كذلك؟ آه، اسمى هيركيول بوارو... ربما تكون قد سمعت بى؟



ـ نعم، بالتأكيد.

راقبه بوارو بعناية. كان أوين تريفوسيس فى نحو الثالثة والثلاثين من عمره، وقد أدرك بوارو فورًا لماذا لم يتعامل أحد بجد مع اتهام الليدى آستويل؛ فقد كان السيد تريفوسيس شابًا أنيقًا وسيمًا وخنوعًا إلى حد يزيل النقمة، من ذلك النوع من الرجال الذين يضطهدهم الآخرون ويعتدون عليهم وهم واثقون من أنهم لن يبدوا استياءهم أبدًا.

قال السكرتير: الليدى آستويل هى التى أرسلت فى طلبك طبعًا، لقد ذكرت أنها ستدعوك. هل من طريقة أساعدك بها؟

كان أسلوبه مؤدبًا بلا إسراف. تناول بوارو كرسيًا وقال برفق: هل أخبرتك الليدى آستويل بشىء حول آرائها وشكوكها؟

ابتسم أوين تريفوسيس قليلاً ما قولك بخصوص شكّها فى فيما أظن؟ إنه أمر سخيف، ولكن هذا هو الواقع. إنها لم تتكلم معى كلمة مهذبة واحدة منذ وفاة السير روبن، وهى تلتفت إلى الجدار كلما مررت بها!

كان سلوكه طبيعيًا تمامًا، وكان فى صوته من التسلية أكثر مما فيه من الاستياء. هزّ بوارو رأسه بأسلوب يوحى



بالمصارحة وقال: فيما بيننا، لقد قالت لى الشىء ذاته. ولم أناقشها، إذ أننى جعلتها قاعدة فى حياتى أن لا أناقش السيدات اللائى يتمسكنَ بآرائهن. هل تفهمنى؟ إنها مضيعة للوقت.

ـ نعم، تمامًا.

ـ كنت أقول: «نعم يا سيدتى»، «بالتأكيد يا سيدتى»، «بالضبط يا سيدتى»... وهى كلمات لا تعنى شيئًا ولكنها تهدئ الخواطر. وأنا أقوم بتحرياتى، فرغم ما يبدو من استحالة ارتكاب أحد للجريمة، سوى السيد ليفيرسن، رغم ذلك يقول المرء: إن كل شىء ممكن وقد حدثت مستحيلات من قبل.

ـ إننى أفهم موقفك تمامًا، وأرجو أن تعتبرنى فى خدمتك.

ـ حسنًا، نحن متفاهمان إذن. والآن، أذكر لى أحداث تلك الليلة، والأفضل أن تبدأ من العشاء.

ـ لم يشارك ليفيرسن فى العشاء، كما تعلم بلا شك؛ فقد كان على خلاف كبير مع خاله. وبسبب ذلك ذهب لتناول العشاء فى نادى الغولف، وهذا ما جعل السير روبن فى حالة مزاجية سيئة جدًا.

لَمح بوارو لمحدّثه ببراعة قائلاً: لم يكن ذاك السيد ودودًا جدًا، أليس كذلك؟



ضحك تريفوسيس قائلاً: آه، لقد كان تتاريًا فى سرعة غضبه! لم أعمل معه مدة تسع سنوات دون أن أعرف عاداته، فقد كان صعب المراس بشكل غير عادى يا سيد بوارو. كانت تنتابه نوبات من الغضب الطفولى العارم بحيث يسىء إلى كل من يقترب منه، وقد عرفت ذلك منه فعوّدت نفسى أن أتجاهل تمامًا كل ما كان يتفوه به. ومع أنه لم يكن سىء الطوية حقًا إلا أن سلوكه كان يتطور أحيانًا إلى حد الحماقة وإغضاب الآخرين، وكان خير علاج لذلك هو أن تتجاهل شتائمه ولا تحاول ردها.

ـ وهل كان الآخرون بمثل حكمتك فى التعامل معه بهذا الشأن؟

هز تريفوسيس كتفيه وقال: كانت الليدى آستويل تستمتع بالشجار معه. لم تكن لتخشاه أبدًا، وقد وقفت دومًا فى وجهه وردت له الصاع صاعين، ولكنهما كانا يتصالحان بعدها دومًا، إذ كان السير روبن يحبها كثيرًا.

ـ وهل تشاجرا فى تلك الليلة؟

نظر السكرتير إليه شزرًا، وتردد دقيقة ثم قال: أظن ذلك، ما الذى دفعك إلى هذا السؤال؟



ـ فكرة ما، هذا كل ما فى الأمر.

ـ لست متيقنًا بالطبع، ولكن بدا أنهما على غير ما يرام.

لم يتابع بوارو هذا الموضع، بل سأله: ومن كان موجودًا على العشاء أيضًا؟

ـ الآنسة مارغريف، والسيد فكتور آستويل، وأنا.

وبعد ذلك؟

ـ ذهبنا إلى غرفة الاستقبال، ولم يذهب السير روبن معنا، إلا أنه عاد بعد عشر دقائق ليصب على جام غضبه بسبب خطأ تافه فى إحدى الرسائل. ذهبت معه إلى غرفة البرج فأصلحت الخطأ، ثم جاء السيد فكتور آستويل وقال إنه يريد التحدث مع أخيه فى أمر ماء فنزلت لأنضمَّ إلى السيدتين. وبعد نحو ربع ساعة سمعت جرس السير روبن يدق بعنف، وجاء بارسونز ليطلب منى الصعود إلى السير روبن فورًا، وعندما كنت أهم بدخول الغرفة كان السيد فكتور آستويل خارجًا منها فارتطم بى وكاد يوقعنى. كان واضحًا أن شيئًا قد أزعجه. لقد كان ذا مزاج عنيف جدًا، وأعتقد فعلاً أنه لم يرنى وهو خارج.



ـ وهل أدلى السير روبن بأى تعليق حول خروجه؟

ـ قال: إن فكتور مجنون. سوف يرتكب جريمة ذات يوم وهو فى إحدى حالات الغضب التى تنتابه!

ـ وهل عندك أية فكرة عن موضوع المشكلة؟

ـ لا، أبدًا.

أدار بوارو رأسه ببطء ونظر إلى السكرتير فهو قد نطق تلك الكلمات الأخيرة بسرعة كبيرة. وتشكلت قناعة لدى بوارو بأنه كان بوسع تريفوسيس أن يدلى بأكثر من ذلك لو أراد. ولكن، مرة أخرى، لم يتابع بوارو القضية.

ـ وبعد ذلك؟ أكمل من فضلك.

ـ عملت مع السير روبن لمدة ساعة ونصف ساعة تقريبًا، وفى الحادية عشرة دخلت الليدى آستويل فقال لى السير روبن إن بإمكانى الإنصراف إلى النوم.

ـ وهل انصرفت؟

ـ نعم.

ـ وهل تعرف كم بقيت الليدى آستويل معه؟



ـ لا، أبدًا؛ إن غرفتها فى الطابق الأول وغرفتى فى الطابق الثانى، فلم أكن لأسمعها وهى تنصرف.

ـ فهمت.

هز بوارو رأسه مرة أو مرتين، ثم نهض واقفًا وهو يقول: والآن خذنى إلى غرفة البرج لو تكرمت.

تبع بوارو السكرتير صاعدًا الدرج العريض، وفى أعلاه قاده تريفوسيس عبر الممر إلى نهايته حيث يوجد بابٌ يطلّ على سلالم الخدم من جهة وعلى ممر قصير من جهة أخرى ينتهى بباب، وعندما عبرا ذلك الباب وجدا نفسّيهما فى مسرح الجريمة.

كانت الغرفة واسعة ذات جدران عالية زُيِّنت بالسيوف والحراب، وفيها طاولات صُفت عليها الكثير من التحف. وفى الجهَة المقابلة، أمام الفتحة الواسعة للنافذة، كان يوجد مكتب ضخم توجّه بوارو إليه مباشرة.

ـ أهذا هو المكان الذى عثر فيه على السير روبن؟

هز السكرتير رأسه موافقًا.

ـ لقد ضُرب من الخلف كما فهمت؟

هزّ السكرتير رأسه مرة أخرى موافقًا، ثم قال: لقد ارتكبت الجريمة بهراوة من هذه الهراوات المعلقة، هراوة ثقيلة تمامًا، ولابد أن الوفاة قد حصلت على الفور.

ـ وهذا يعزز الفكرة القائلة بأن الجريمة لم تكن مخططًا لها من قبل وأنها حدثت إثر شجار حاد حيث تم اللجوء ـ بلا وعى تقريبًا ـ إلى السلاح القريب؟

ـ نعم، ويبدو أن ذلك ليس من صالح ليفيرسن المسكين.

سأل بوارو: وهل تمَّ العثور على الجثة منكبَّة على الطاولة؟

ـ لا، لقد وقعت جانبًا على الأرض.

ـ هذا الأمر غريب.

ـ لماذا؟

ـ بسبب هذه.

وأشار بوارو إلى بقعة دائرية على السطح المصقول للطاولة قائلاً: إنها بقعة دم يا صديقى.

ـ ربما يكون الدم قد انتثر هنا، أو تكون البقعة قد حدثت لاحقًا عندما أزاحوا الجثة.

ـ هذا محتمل جدًا، محتمل جدًا. ألا يوجد فى هذه الغرفة سوى باب واحد؟

ـ يوجد درج هنا.

وأزاح تريفوسيس ستارة مخملية فى زاوية الغرفة قرب الباب، وكان خلفها درج لولبى صغير يقود إلى الأعلى. قال: لقد بُنى هذا البيت أصلاً بواسطة أحد الفلكيين، وهذا الدرج يقود إلى البرج العلوى حيث كان المرصد. وقد أمر السير روبن بتحضير هذا المكان كغرفة نوم كان ينام فيها أحيانًا عندما يتأخر فى عمله.

صعد بوارو الدرج بخفة. كانت الغرفة الدائرية العليا قد فرشت ـ على نحو بسيط ـ بسرير من النوع الذى يطوى وكرسى وطاولة. وأقنع بوارو نفسه بأنه ليس هناك مخرج آخر، ثم عاد إلى حيث انتظره تريفوسيس وسأله: هل سمعت السيد ليفيرسن وهو يدخل المنزل؟

هز السكرتير رأسه بالنفى قائلاً: لقد كنت نائمًا فى ذلك الوقت.

هز بوارو رأسه ونظر بإمعان فى أرجاء الغرفة، ثم قال أخيرًا: حسنًا، لا أظن أن لدينا أى شىء هنا أكثر من ذلك، إلا إذا... هلا تكرمت بإسدال الستائر؟

سحب تريفوسيس الستائر السوداء الثقيلة مغطيًا النافذة فى الجانب الآخر من الغرفة، فاشعل بوارو مصباحًا متدليًا من سقف الغرفة تحيط به آنية مرمرية ضخمة وسأل: هل يوجد مصباح طاولة هنا؟

ردًا على السؤال أشعل السكرتير مصباحًا يدويًا ذا غطاء أخضر كان ينتصب على الطاولة، فأطفأ بوارو مصباح السقف ثم أشعله ثم أطفأه ثانية وقال: جيد. لقد انتهيت من هذه الغرفة.

ـ سيكون العشاء جاهزًا فى السابعة والنصف.

ـ شكرًا لك على كل أفضالك يا سيد تريفوسيس.

ـ عفوًا.

مضى بوارو عبر الممر إلى الغرفة التى خصصت له وهو يفكر. كان جورج الغامض هناك يرتب حاجيات سيده، وقال له بوارو على الفور: يا عزيزى الطيب جورج، آمل أن أقابل على العشاء رجلاً بدأ يثير اهتمامى بشدة، رجلاً عاد إلى الوطن من المنطقة الاستوائية حاملاً ـ كما قيل ـ مزاجه الاستوائى، رجلاً حاول بارسونز أن يحدّثنى عنه بينما أغفلت ليلى مارغريف ذكره. لقد كان الراحل السير روبن عصبى المزاج يا جورج، فلو

افترضنا أن رجلاً مثله قابل رجلاً ذا مزاج أكثر عصبية فما الذى سيحدث برأيك؟ هل سيُنتف الريش؟

ـ «سيتطاير الريش»... هذا هو التعبير الإنكليزى الصحيح يا سيدى. ولكن الأمور لا تجرى هكذا دائمًا يا سيدى، ولا سيما إذا طالت العشرة.

ـ لا تجرى هكذا؟

ـ نعم يا سيدى. لقد كان لى عمة اسمها جيميما ذات لسان حاد كالمبرد، وكانت تضطهد أختًا لها مسكينة كانت تعيش معها؛ كانت تفعل لها الأفاعيل حتى كادت أن تبغض إليها الحياة. ولكن لو تعرضت لأى مكروه فمن كان سيدافع عنها؟ هنا كانت علاقتهما تختلف، فالخنوع هو ما لم تكن عمتى لتطبقه.

ـ آه، إنها لفتة موحية منك.

سعل جورج وكأنه يعتذر ثم سأل سيده بطلاقة هل من خدمة يمكن أن أقوم بها لمساعدتك يا سيدى؟

ـ بالتأكيد، أريد أن تعرف لى ما لون الثوب الذى ارتدته الآنسة ليلى مارغريف ليلة الجريمة، ومن كان يقوم على خدمتها؟

استقبل جورج هذه الأوامر ببروده المعتاد قائلاً: حسنًا يا سيدى، سآتيك بهذه المعلومات صباح غد.

نهض بوارو عن مقعده ووقف يحدّق إلى النار وهو يتمتم: أنت مفيد لى جدًا يا جورج. أتعلم، لن أنسى عمتك هذه!

●●●

(3)

لم يتسن لبوارو أن يرى فكتور آستويل فى تلك الليلة، فقد اتصل هاتفيًا قائلاً إنه سيتأخر فى لندن.

سأل بوارو الليدى آستويل: هل يتابع فكتور أعمال زوجك الراحل؟

- إنه شريك، وقد ذهب إلى إفريقيا ليدرس بعض امتيازات حفر المناجم لصالح الشركة. كانت امتيازات مناجم يا ليلى، أليس كذلك؟

- بلى يا ليدى آستويل.

- هل كانت مناجم ذهب أم نحاس أم قصدير؟ لابدّ أنك تعرفين يا ليلى؛ فقد كنت دومًا تسألين روبن عن ذلك كله. آه، انتبهى يا عزيزتى، ستوقعين المزهرية!

قالت الفتاة: إن المكان هنا حار جدًا بسبب الموقد. هل لى... هل لى أن أفتح النافذة قليلاً؟

قالت الليدى آستويل بهدوء: افعلى ما تريدين يا عزيزتى.



راقب بوارو الفتاة وهى تتجه إلى النافذة وتفتحها، حيث وقفت هناك دقيقة أو دقيقتين تستنشق هواء الليل البارد.

وعندما عادت وجلست فى مكانها سألها بوارو بتهذيب: الآنسة مهتمة بالمناجم إذن؟

أجابت الفتاة دون اهتمام: آه، لست مهتمة فعلاً. كنت أصغى إلى السير روبن، ولكننى لا أعرف أى شىء عن هذا الموضوع.

قالت الليدى آستويل موجهة حديثها إليها: إذن فقد مثلت دور المهتمة ببراعة، حتى لقد أوشك المسكين روبن أن يشك أن لديك دوافع خفية لطرح كل تلك الأسئلة.

لم تتحرك عينا بوارو عن النار التى كان يحدق إليها بثبات، ولكن لم تفته ـ مع ذلك ـ رؤية وجه ليلى مارغريف وهو يتورد بسرعة من الغيظ، فقام بتغيير الموضوع ببراعة.

وعندما حان وقت النوم قال لمضيفته: هل لى بكلمتين معك يا سيدتى؟

اختفت ليلى مارغريف بحذر بينما نظرت الليدى آستويل مستفهمة إلى المحقق الذى سألها: هل كنت آخر من رأى السير روبن على قيد الحياة فى تلك الليلة؟



أومأت بالإيجاب والدموع تنساب من عينيها، ثم أسرعت لتجفيفها بمنديل أسود الحاشية.

ـ آه، لا تحزنى نفسك... أرجوك، لا تحزنى نفسك.

ـ أنا بخير يا سيد بوارو، ولكننى لا أستطيع حبس دموعى.

ـ يا لى من أبله كبير إذ هيجت أحزانك على هذا النحو!

ـ لا.. لا.. استمر. ما الذى كنت تريد قوله؟

ـ أعتقد أن الساعة كانت قريبة من الحادية عشرة عندما ذهبت إلى غرفة البرج وقام السير روبن بصرف السيد تريفوسيس، هل هذا صحيح؟

ـ لا شك أن الوقت كان كما قلت تقريبًا.

ـ وكم بقيت معه؟

ـ كانت الساعة تمام الثانية عشرة إلا ربعًا عندما نهضت لأذهب إلى غرفتى، أتذكر أننى نظرت إلى الساعة وقتها.

ـ ليدى آستويل، هل لك أن تخبرينى عن موضوع حوارك مع زوجك؟

غرقت الليدى آستويل فى الأريكة وانهارت تمامًا. كان نشيجها عنيفًا وهى تقول: لقد تشا... تشاجرنا.



ـ بخصوص ماذا؟

كان صوت بوارو ملاطفًا رقيقًا.

ـ بخصوص العديد من المسائل. بدأ الأمر بليلى، فقد كان روبن يكرهها... بلا سبب، وقال إنه ضبطها تعبث بأوراقه. أراد أن يطردها فقلت له إنها عزيزة علىّ وإننى لن أسمح بطردها، ثم بدأ بالصياح فى وجهى وفى شتمى، ولم أكن لأقبل بذلك فرددت عليه وأخبرته برأيى فيه. لم أكن أقصد ذلك فعلاً يا سيد بوارو. لقد صرخ قائلاً إنه انتشلنى من الوحل وتزوجنى فقلت له... آه، ما نفع كل ذلك الآن؟ إننى لن أغفر لنفسى أبدًا. هل فهمتنى يا سيد بوارو؟ لقد قلت دومًا إن المشاجرات تصفى الأجواء، فكيف كان لى أن أعرف أن أحدً سيقتله فى تلك الليلة ذاتها؟ يا لروبن العجوز المسكين!

قال بوارو بعد أن أصغى بتعاطف إلى كل ذلك الحديث العاطفى أعتذر لأننى سببت لك الألم. ولكن لنكن الآن عمليين جدًا ودقيقين جدًا، أما تزالين متمسكة بفكرتك القائلة إن السيد تريفوسيس هو من قتل زوجك؟

اعتدلت الليدى آستويل فى جلستها وقالت بوقار: إن حدس المرأة لا يخطىء يا سيد بوارو.



ـ بالضبط، بالضبط، ولكن متى قام بذلك؟

ـ متى؟ بعد أن تركته أنا بالطبع.

ـ لقد تركت السير روبن فى الثانية عشرة إلا ربعًا، وفى الثانية عشرة إلا خمس دقائق دخل السيد ليفيرسن البيت، فهل تقولين إن السكرتير جاء من غرفة نومه فقتله فى تلك الدقائق العشر؟

ـ هذا ممكن تمامًا.

ـ أشياء كثيرة ممكنة أيضًا. صحيح أنه يمكن ارتكاب الجريمة فى عشر دقائق، ولكن هل ارتكبت الجريمة هكذا؟

ـ بالطبع هو يقول إنه كان نائمًا فى فراشه، ولكن من يدرى إن كان حقًا نائمًا أم لا؟

ـ ولكن أحدًا لم يره مستيقظًا.

ـ بالطبع لم يره أحد، فقد كان الجميع فى أسرّتهم نائمين.

ـ ما زلت أشك.

قالها بوارو لنفسه، وساد بعدها صمت قصير قطعه بوارو بقوله: حسنًا يا ليدى آستويل، أتمنى لك ليلة سعيدة.



وضع جورج قهوة الصباح الباكر قرب سرير سيده وقال: لقد ارتدت الآنسة مارغريف ـ يا سيدى ـ ثوبًا من الشيفون الأخضر الفاتح فى تلك الليلة.

ـ شكرًا يا جورج، فعلاً يمكن الاعتماد عليك.

ـ كما قام على خدمة الآنسة مارغريف ليلتها الخادمة الثالثة، واسمها غلاديس.

ـ شكرًا يا جورج، إنك لا تقدر بثمن.

ـ عفوًا يا سيدى.

قال بوارو وهو ينظر من النافذة: إنه صباح جميل، وما أظن أن أحدًا يمكن أن يكون خارج فراشه فى هذا الوقت المبكر. أعتقد ـ يا عزيزى الطبيب ـ أن علينا أن تنفرد بغرفة البرج بنفسينا لنجرى تجربة صغيرة.

ـ هل تحتاجنى يا سيدى؟

ـ لن تكون التجربة مؤلمة.

عندما وصلا إلى غرفة البرج ألفيا الستائر ما تزال مسدلة، وعندما هم جورج بفتحها أوقف بوارو قائلاً: سنترك الغرفة كما هى. أشعل فقط مصباح الطاولة.



أشعل الخادم المصباح، فقال له بوارو: والآن يا عزيزى جورج، أجلس على ذلك الكرسى وتصرف كما لو كنت تكتب. هذا جيد، أما أنا فسأمسك بهراوة وأتسلل خلفك هكذا، وأضربك على قفا رأسك.

ـ نعم يا سيدى.

ـ آه! ولكن عندما أضربك توقف عن الكتابة. هل تفهمنى؟ لا يمكن أن أطبق ذلك، لا يمكننى ضربك بنفس القوة التى ضرب بها القاتل السير روبن، ولذلك فعندما نصل إلى هذه النقطة ينبغى لنا أن نؤديها كما لو كانت حقيقية. أضربك على رأسك فتنهار هكذا: الذراعان مرتخيتان والجسم مترهل. أسمح لى أن أرتب جسمك. لا، لا تشدد عضلاتك.

تنهد عميقًا بغضب ثم قال: أنت تكوى السراويل بشكل ممتاز يا جورج، أما الخيال فإنك لا تملكه. انهض ودعنى آخذ مكانك.

جلس بوارو على طاولة الكتابة وبدأ يعطى تعليماته: أنا أكتب، أكتب بهمة، وأنت تتسلل خلفى وتضربنى على رأسى بالهراوة. طاخ! يسقط القلم من أصابعى وأسقط إلى الأمام، ولكن ليس إلى الأمام كثيرًا لأن الكرسى منخفض والطاولة مرتفعة، والأهم

هو أن ذراعى تسندانني. اعمل معروفًا يا جورج وارجع إلى الباب، قف هناك وقل لى ماذ ترى؟

ـ إحم!

ـ نعم يا جورج، هيا.

ـ أراك جالسًا على المكتب يا سيدى.

ـ من الصعب قليلاً أن ترى بوضوح من هذا البعد يا سيدى، فالمصباح مظلل بشكل كثيف. هل لى أن أشعل هذا الضوء يا سيدى؟

وامتدت يده إلى مفتاح الضوء فقال بوارو بحدة: لا تفعل؛ الأفضل أن نبقى هكذا. ها أنذا منكب على المكتب وها أنت ذا تقف بالباب. تقدم الآن يا جورج، تقدم وضع يدك على كتفى.

نفذ جورج ما أمر به فقال بواروك استند علىَّ قليلاً يا جورج كما لو كنت تعتمد على لتقف على قدميك. آه، هكذا.

انزلق جسم هيركيول بوارو المترهل إلى الجانب.

ـ إننى أسقط... هكذا، نعم؛ كما تخيلتها تمامًا. ولكن بقى شيء أكثر أهمية ينبغى القيام به.

ـ حقًا يا سيدى؟

ـ نعم، من الضرورى أن أتناول إفطارًا دسمًا.

قالها الرجل الضئيل وهو يضحك مرحًا من نكتته، ثم أردف قائلاً: ينبغى أن لا يتجاهل أحدٌ معدته يا جورج.

احتفظ جورج بصمت مستهجن فيما نزل بوارو السلم وهو يضحك بسعادة مع نفسه، كان سعيدًا بالطريقة التى تتجمع بها خيوط القضية.

بعد الإفطار تعرف إلى الخادمة الثالثة غلاديس التى كان مهتمًا كثيرًا بما يمكنها أن تخبره به عن الجريمة. كانت متعاطفة مع تشارلز ورغم أنها لم تشك أنه هو الذى ارتكب الجريمة، وقالت: إنه شاب مسكين يا سيدى، وكم هو صعب أن يتصرف على غير طبيعته وقتها.

اقترح بوارو ملمحًا: كان ينبغى لعلاقته مع الآنسة مارجريف أن تكون على ما يرام باعتبارهما الشابين الوحيدين فى المنزل.

هزت جلاديس رأسها بالنفى قائلة: كانت علاقتها معه تتسم بالصدود، فلم تكن تريد أعمالاً طائشة، وقد أوضحت ذلك.

ـ إنه مغرمًا بها، أليس كذلك؟

ـ آه، كان إعجابًا طارئًا إذا صح التعبير، لا ضرر فيه. أما المغرم حقًا بالآنسة ليلى فهو السيد فكتور آستويل.

قالت ذلك وقهقهت.

ـ آه، حقًا؟!

قهقهت جلاديس ثانية وقالت: لقد شُغفَ بها فورًا. إن الآنسة ليلى كزهرة الليل، أليست كذلك يا سيدى، بطولها الفارع وشعرها الذهبى الجميل؟

قال بوارو وهو يفكر بصوت عال: لو أنها فقط لبست ثوبًا أخضر، فهناك ظل اخضرار...

ـ لديها ثوب أخضر يا سيدى.. إنها لا تستطيع طبعًا أن تلبسه الآن كونها فى الحداد، ولكنها ترتديه فى نفس الليلة التى مات فيها السير روبن.

ـ لابد أنه أخضر فاتح وليس غامقًا.

ـ إنه أخضر فاتح بالفعل يا سيدى. سأريك إياه إذا انتظرتنى دقيقة، فالآنسة ليلى خرجت مع الكلاب قبل قليل.

هزَ بوارو رأسه، فقد كان يعلم بخروج ليلى كما تعلم جلاديس، بل إنه لم يخرج بحثًا عن الخادمة إلا بعد أن رأى ليلى تبتعد عن البيت وعن الأراضى التابعة له. أسرعت جلاديس وعادت بعد بضع دقائق حاملة ثوب السهرة الأخضر معلقًا على مشجب. تمتم بوارو: رائع!

وفتح ذراعيه إعجابًا، ثم قال: اسمحى لى أن أراه دقيقة قرب الضوء.

أخذ الثوب من جلاديس وأدار لها ظهره وأسرع نحو النافذة حيث انحنى فوق الثوب، ثم مد يده متأملاً وهو يقول: إنه بديع يفتن الألباب. ألف شكر لك على السماح لى برؤيته.

ـ عفوًا يا سيدى، نحن نعرف جميعًا أن الفرنسيين يهتمون بالملابس.

ـ أنت لطيفة جدًا.

راقبها بوارو وهى تبتعد بالثوب، ثم نظر إليه وابتسم. كان فى اليد اليمنى مقص صغير للأظافر وفى اليسرى قصاصة من الشيفون الأخضر تم قصها بعناية.

تمتم قائلاً: لنفسه: والآن ما العمل الذى يحتاج إلى بطولة.

عاد إلى غرفته واستدعى خادمه جورج فقال له: ستجد ـ يا عزيزى جورج ـ دبوس وشاح ذهبيًا على طاولة الزينة هناك.

ـ نعم ياسيدى.

وعلى المغسلة محلول معقّم. أرجوك أن تغمز رأس الدبوس فى ذلك المعقم.



قام جورج بما طُلب منه، فقد توقف منذ أمد بعيد عن العجب من تقلبات أهواء سيده. قال: لقد فعلت ذلك ياسيدى.

ـ ممتاز، والآن تقدم. سأمد لك إبهامى، فأدخل فيه رأس الدبوس.

ـ اعذرنى ياسيدى، هل تريدنى أن أخزك بالدبوس؟

ـ نعم، لقد فهمت قصدى. عليك أن تُخرج بعض الدم، هل فهمت؟ ولكن ليس كثيرًا.

أمسك جورج بإصبع سيده الذى أغمض عينيه واتكأ إلى الخلف، ثم وخزه بالدبوس فأطلق بوارو صرخة حادة وقال: أشكرك يا جورج، لقد قمت بما هو مطلوب.

ثم أخذ من جيبه قطعة صغيرة من الشيفون الأخضر وربَط بها بحذر على إصبعه قائلاً وهو يحدث إلى النتيجة على قصاصة القماش: لقد نجحت العملية نجاحًا باهرًا.

ثم ألتفت إلى جورج وقال: أليس عندك فضول يا جورج؟ إن أمرك لعجيب!

كان الخادم وقد ينظر نظرة حذرة من النافذة، ثم تمتم: عفوك يا سيدى، فقد وصل رجل بسيارة ضخمة.



نهض بوارو واقفًا وهو يقول: آه، السيد فكتور آستويل المتمنّع سأنزل لأتعرف عليه.

وقد قُدّر لبوارو أن يسمع السيد فكتور أستويل لبعض الوقت قبل أن يراه، حيث دوّى صوت عاليًا من الصالة وهو يصيح: انتبه لما تفعله أيها الأبله اللعين! إن فى هذه الحقيبة زجاجًا... عليك اللعنة يا بارسونز، اغرب عن وجهى... أنزلها أيها الأحمق!

قفز بوارو برشاقة وهو ينزل الدرج إلى الصالة. كان فكتور أستويل رجلاً ضخمًا انحنى له بوارو بأدب فزمجر قائلاً: من تكون أنت؟

انحنى بوارو ثانية وهو يقول: اسمى هيركيول بوارو.

ـ يا إلهى! إذن فقد أرسلت نانسى فى طلبك رغم كل شىء؟

وضع يده على كتف بوارو وسحبه نحو المكتبة، وهناك صعّد بصره إلى بوارو قائلاً: أنت إذن ذلك الشخص الذى يثيرون حوله كل تلك الضجة. اعذرنى على مفرداتى الآن، فسائقى ذاك حمار ملعون، وبارسونز يثير أعصابى دومًا، ذاك الأبله العجوز.

ثم أضاف وكأنه يعتذر: لا أستطيع تحمل الحمقى، ولكنك لست أحمق بكل المقاييس يا سيد بوارو، أليس كذلك؟



ضحك بابتهاج، فأجابه بوارو بهدوء: أولئك الذين حسبونى أحمق ندموا على خطئهم.

ـ هكذا إذن؟ حسنا، لقد أتت بك نانسى إلى هنا، فهى مصرّة على الشك فى ذلك السكرتير. وأظنه شك غير مبرّر، فتريفوسيس طرى كالحليب، وهو يشرب الحليب أيضًا كما أعتقد! إنها مضيعة لوقتك، أليس كذلك؟

أجاب بوارو بهدوء: إذا أتيحت للمرء فرصة مراقبة الطبيعة البشرية فذلك لا يعتبر مضيعة للوقت.

ـ الطبيعة البشرية... آه!

حدث فكتور آستويل إليه ثم رمى بنفسه على كرسى وقال: هل من خدمة أؤديها لك؟

ـ نعم، بأن تخبرنى عن سبب شجارك مع أخيك فى تلك الليلة.

هزّ فكتور آستويل رأسه بالرفض قائلاً بحسم: ليس لهذا علاقة بالقضية.

ـ لا يمكن الجزم بذلك.

ـ لا علاقة لذلك بتشارلز ليفيرسن.

ـ تعتقد الليدى آستويل أنه ليس لتشارلز علاقة بالجريمة.



ـ آه، نانسى!

ـ كما أن بارسونز يزعم بأن تشارلز ليفرسن هو الذى أتى فى تلك الليلة، ولكنه لم يره. تذكّر أن أحدًا لم يره.

ـ الأمر فى غاية البساطة. فقد كان روبن يهاجم الشاب تشارلز وله فى ذلك أسباب. ثم حاول بعد ذلك أن يتطاول علىّ أنا فأخبرته ببعض الحقائق المُرّة عن نفسه وقررت أن أساند الشاب لمجرد إزعاج روبن، وعندما ذهبت إلى غرفتى لم أخلد إلى السرير بل جلست أدخن وتركت الباب نصف مفتوح، وغرفتى ـ ياسيد بوارو ـ فى الطابق الثانى وغرفة تارلز بجانبها.

ـ اعذرنى على المقاطعة، ألا ينام السيد تريفوسيس أيضًا فى ذلك الطابق؟

ـ بلى، وغرفته بعد غرفتى تمامًا.

ـ أهى الأقرب إلى الدرج؟

ـ لا، بل فى الاتجاه الآخر.

علا وجه بوارو ضياءٌ غريب، ولكن محدثه لم ينتبه إلى ذلك ومضى فى حديثه: كما قلت لك، انتظرت تشارلز فسمعت صوت الباب الأمامى ينطبق فى الثانية عشرة إلا خمس دقائق

كما أظن، ولكن لم يظهر تشارلز لمدة تقرب من عشر دقائق، وعندما ظهر فى أعلى الدرج رأيت أن من غير المناسب أن أحدثه فى تلك الليلة.

ثم رفع فكتور مرفقه بإشارة ذات معنى، فقال بوارو: نعم، إننى أفهمك.

ـ لم يكن ذلك الشيطان المسكين يستطيع المشى بشكل مستقيم، وبدا شاحبًا تمامًا أيضًا. وقد عزوت ذلك إلى حالته فى ذلك الوقت، ولكننى أدركت الآن ـ بالطبع ـ أنه كان قد عاد لتوّه من ارتكاب جريمة قتل.

قاطعه بوارو بسؤال سريع: ألم تسمع شيئًا من غرفة البرج؟

ـ لا، ولكن عليك أن تتذكر أننى كنت فى الجانب الآخر للمبنى تمامًا. كما أن الجدران سميكة ولا أعتقد أن بوسك أن تسمع حتى طلقات مسدس من هناك.

هز بوارو رأسه فيما تابع آستويل: سألته إن كان يريد مساعدة للوصول إلى سريره ولكنه قال إنه على ما يرام، ومضى إلى غرفته صافقًا الباب خلفه، فبدَلتُ ثيابى وأويت إلى فراشى.

كان بوارو يحدق إلى السجادة بتركيز، وأخيرًا قال: هل تدرك أن شهادتك مهمة جدًا يا سيد آستويل؟

ـ أظنها كذلك، على الأقل... ما الذى تعنيه؟

ـ شهادتك بأن عشر دقائق مرت بين صفق الباب الأمامى وظهور ليفيرسن فى الطابق العلوى، فهو نفسه يقول ـ كما فهمت ـ بأنه أتى إلى البيت ومضى مباشرة إلى سريره. ولكن ثمة أمر آخر؛ صحيح أن اتهام الليدى آستويل للسكرتير أمر خيالى، ولكن لم يثبت أنه مستحيل حتى الآن. إلا أن شهادتك تشكل دفعًا بالغًا عن مكان الجريمة.

ـ كيف؟

ـ تقول الليدى آستويل إنها تركت زوجها فى الثانية عشرة إلا ربعًا، بينما ذهب السكرتير إلى سريره فى الحادية عشرة. والوقت الوحيد الذى كان بإمكانه ارتكاب الجريمة فيه هو ما بين الثانية عشرة إلا ربعًا ولحظة عودة تشارلز ليفيرسن. والآن، إذا كنت تجلس ـ كما تقول ـ أمام باب غرفتك المفتوح فلن يسعه أن يخرج من غرفته دون أن تراه.

ـ نعم، هذا صحيح.

ـ ألا يوجد درج آخر؟

ـ لا، كان عليه أن يمر ببابى لو أراد النزول إلى غرفة البرج، وهو لم يفعل، أنا متأكد من هذا تمامًا. ومع ذلك فإن الرجل ـ كما قلت لك يا سيد بوارو ـ شديد الخنوع، أؤكد لك هذا.

هتف بوارو مهدئًا: نعم، نعم، لقد فهمت هذا كله.

وصمت قليلاً ثم قال: وأنت، ألن تخبرنى بموضوع شجارك مع أخيك السير روبن؟

أصبح وجه الرجل الآخر أحمر قانيًا وصاح: لن تحصل منى على أى شيء.

نظر بوارو إلى سقف الغرفة وتمتم: بوسعى دومًا أن أكون كتومًا عندما يتعلق الأمر بامرأة.

قفز فكتور آستويل واقفًا على قدميه وهو يصيح: عليك اللعنة، كيف استطعت... ما الذى تعنيه؟

ـ كنت أفكر بالآنسة ليلى مارغريف.

وقف فكتور آستويل دقيقة أو اثنتين حائرًا لا يدرى ما يقول، ثم تلاشى اللون الأحمر من وجهه فجلس ثانية وقال: أنت ذكى جدًا فى نظرى يا سيد بوارو. نعم، كانت ليلى هى موضوع مشاجرتنا.

كان روبن يعاملها بشكل سيئ، وكان قد نقّب فى ماضيها فوجد أمرًا ما، شيئًا من قبيل رسائل توصية مزورة... وأنا ـ شخصيًا ـ لا أصدق كلمة من ذلك. ثم تمادى إلى حد ليس من حقه أن يبلغه زاعمًا أنها تتسلل ليلاً خارج البيت لتقابل رجلاً ما. يا إلهى! لقد وبخته وقلت له إن اتهامات أقل من هذه قد تسببت فى سفك دماء، وقد أسكنه ذلك إذ كان يخشانى قليلاً عندما أثور.

تمتم بوارو بأدب: هذا أمر لا أستغربه.

غير فكتور من نبرته وقال: إننى أفكر كثيرًا فى ليلى مارغريف، فهى لطيفة غاية اللطف.

لم يجب بوارو، فقد كان يحدّق أمامه غارقًا ـ كما يبدو ـ فى نظرياته، ثم خرج من استغراقه العميق برعشة وقال: علىّ أن أتنزه قليلاً. إن فى هذه المنطقة فندقًا، أليس كذلك؟

ـ بل اثنان: «فندق الغولف» قرب ملعب الغولف و«فندق ميتر» قرب المحطة.

ـ شكرًا لك. نعم، ينبغى علىّ أن أتنزه قليلاً.



(4)

يقع فندق الغولف (كما يدلّ اسمه) على ملاعب الغولف بمحاذاة مبنى النادى، وقد ذهب بوارو إلى هذا الفندق أولاً فى إطار «نزهته» التى أشاع أنه يعتزم القيام بها. لقد كانت لهذا الرجل الضئيل طريقته فى أداء عمله، فلم تكد تمرّ ثلاث دقائق على دخوله إلى فندق الغولف حتى كان يعقد جلسة مشاورات خاصة مع الآنسة لانغدون، مديرة الفندق.

ـ أنا آسف على إزعاجك يا آنستى، ولكن ذلك من طبيعة عملى، فأنا رجل تحرٍ كما ترين.

كانت البساطة تروق له دائمًا، وفى هذه الحالة أثبتت البساطة فعاليتها على الفور؛ إذ هتفت الآنسة لانغدون وهى تنظر إليه بارتياب: رجل تحرّ؟

ـ لست من شرطة اسكتلنديارد، بل ربما لاحظت أننى لست إنكليزيًا. لا، إننى أقوم بتحرياتى الخاصة بخصوص مقتل السير روبن آستويل.



ـ أتعنى أنك تقوم بذلك الآن؟

قالت ذلك وهى تحملق إليه منتظرة جوابه.

ـ بالضبط، ولم أكن لأبوح بهذه الحقيقة إلاّ لشخص كتوم مثلك، وأظن أن بإمكانك مساعدتى يا آنسة. هل يسعك أن تخبرينى عن أى شخص كان نزيلاً عندكم ليلة الحادثة، وغاب عن الفندق فى تلك الليلة ثم عاد إليه فى نحو الثانية عشرة أو الثانية عشرة والنصف؟

ازدادت حملقة الآنسة لانغدون وقالت بأنفاس متقطعة: هل تظن أن...؟

أنكم كنتم تستضيفون القاتل؟ لا، ولكن لدى ما يدفعنى إلى الاعتقاد بأن شخصًا من ضيوفكم قد تنزه باتجاه قصر مون ريبوز فى تلك الليلة، فإن كان الأمر كذلك فربما يكون قد رأى شيئًا غير ذى أهمية بالنسبة له ولكنه مفيد جدًا بالنسبة لى.

هزت المديرة رأسها بتعقل بأسلوب متآلف تمامًا مع مقتضيات المنطق البوليسى، ثم قالت: أفهم ذلك تمامًا. والآن دعنى أرى، من كان نزيلاً لدينا هنا؟

تجهمت وهى تستعرض فى ذهنها ـ كما يبدو ـ أسماء "نزلاء، وتستعين أحيانًا بعدّهم على أصابعها.



ـ الكابتن سوان، والسيد إيلكنز، والرائد بلابونت، والسيد بنسن العجوز...لا، لا أعتقد أن أحدًا خرج فى تلك الليلة يا سيدى.

ـ وهل كنت ستلاحظين خروج أحد لو خرج؟

ـ نعم يا سيدى، فهذا نادرًا ما يحدث.. ربما خرج بعض الرجال لتناول العشاء خارج الفندق، ولكنهم لايخرجون بعد العشاء، إذ ـ ببساطة ـ لا يوجد مكان للمرء أن يرتاده. كانت لعبة الجولف هى ما يميز منطقة أبوتز كروس، ولا شىء غير الجولف.

ـ هذا صحيح، فأنت إذن لا تتذكرين أحدًا خرج من هنا فى تلك الليلة؟

ـ فقط خرج الكابتن إنجلاند وزوجته لتناول العشاء.

هز بوارو رأسه قائلاً: ليس هذا ما أعنيه. سأحاول فى الفندق الآخر، فندق الميتر، أليس هذا هو اسمه؟

ـ آه، فندق الميتر. بالطبع، من هناك يمكن لأى فرد أن يخرج.

كانت نبرة الاستخفاف ظاهرة فى كلماتها، فانسحب بوارو بلباقة.





بعد عشر دقائق كان بوارو يعيد نفس المشهد، لكن مع الآنسة كول هذه المرة، المديرة الفظة لفندق الميتر، وهو فندق أكثر تواضعًا وأقل أسعارًا يقع قرب المحطة.

ـ لقد خرج رجل واحد فى وقت متأخر من تلك الليلة ثم عاد فى نحو الثانية عشرة والنصف كما أذكر، وكان من عادته قبل أن يخرج ليتمشى فى مثل ذلك الوقت من الليل، وقد خرج قبل ذلك مرة أو مرتين. دعنى أراجع اسمه، فقد غاب الآن عن ذاكرتى.

سحبت سجلاً ضخمًا وبدأت بتقليب صفحاته: تسعة عشر، عشرون، واحد عشرون، اثنان وعشرون... آه، ها هو. اسمه نيلر، الكابتن همفرى نيلر.

ـ هل سبق أن أقام عندكم؟ هل تعرفينه جيدًا؟

ـ أقام هنا مرة واحدة من قبل، قبل نحو أسبوعين من إقامته الأخيرة. وأذكر أنه خرج فى الليل أيضًا آنذاك.

ـ وهل جاء إلى هنا ليلعب الجولف؟

ـ نعم، أظن ذلك، فهذا ما يأتى الجميع من أجله.

ـ هذا صحيح. حسنًا يا آنسة، أشكرك جدًا وأتمنى لك يومًا سعيدًا.



عاد إلى قصر مون ريبوز وعلامات التفكير بادية على وجهه، وأخرج مرة أو مرتين شيئًا من جيبه لينظر إليه متمتمًا لنفسه: لابد من فعل ذلك سريعًا، حالما تسنح لى الفرصة.



بادر فور دخوله المنزل إلى سؤال بارسونز عن مكان الآنسة مارجريف، فأخبره أنها فى الغرفة الصغيرة تعمل بمراسلات الليدى آستويل، وبدا أن المعلومة قد أرضت بوارو.

وجد الغرفة الصغيرة بسرعة وبلا عناء. كانت ليلى مارجريف جالسة على مكتب قرب النافذة وهى تكتب غير شاعرة بوجوده، وأغلق بوارو الباب خلفه وتقدم من الفتاة قائلاً: هل لى بدقائق قليلة من وقتك يا آنسة؟ سيكون ذلك لطفًا كبيرًا منك.

ـ بالتأكيد.

وضعت ليلى مارجريف الأوراق جانبًا والتفتت نحوه قائلة: ما الذى يمكننى فعله من أجلك؟

ـ فى ليلة المأساة يا آنسة، فهمت أنك ذهبت مباشرة إلى فراشك عندما ذهبت الليدى آستويل إلى زوجها. هل هذا صحيح؟

هـزت ليلى مـارجريف رأسـها بـالإيـجاب، فـسـأل بـوارو: ألم تنزلى ثانية تحت أى ظرف؟

هـزت الفتاة رأسـها بالنفى، فقال بـوارو: أظنك قلت ـ يا آنسة ـ إنك لم تدخلى فى أى وقت من تلك الليلة إلى غرفة البرج؟

ـ لا أذكر أننى قلت ذلك، ولكن هـذا صحيح تمامًا فى الحقيقة؛ فأنا لم أدخل غرفة البرج فى تلك الليلة.

رفع بوارو حاجبيه وتمتم: هذا غريب.

ـ ماذا تعنى؟

تمتم بوارو ثانية: غريب جدًا، كيف تفسرين هذا إذن؟

أخرج من جيبه قصاصة صغيرة من الشيفون الأخضر ملطخة بالدم ورفعها لتتفحصها الفتاة.

لم تتغير تعابير وجهها، ولكنه شعر بشهيقها الحاد أكثر مما كان. قالت: لا أفهم يا سيد بوارو.

ـ لقد كنت ترتدين ثوبًا من الشيفون الأخضر فى تلك الليلة كما علمت، وهذه مزقة منه.

قال ذلك وهو يمسك القصاصة بين أصابعه، فسألته الفتاة بحدة: وهل وجدت هذه فى غرفة البرج؟ أين؟

نظر بـوارو إلى السقف قائلاً: سنكتفى الآن بالقول إنها كانت فى غرفة البرج.

قفزت نظرة خوف لأول مرة إلى وجه الفتاة فبدأت بالكلام، ثم ضبطت نفسها فيما كان بوارو يراقب يديها الصغيرتين البيضاوين تطبقان على حافة المكتب. قالت متأملة: أتساءل إن كنت قد ذهبت إلى غرفة البرج فى تلك الليلة.. أعنى قبل العشاء. ولكنى أعتقد ذلك، بل أنا شبه متأكدة من أننى لم أدخلها. ويبدو أمرًا غريبًا أن تبقى هذه المزقة فى الغرفة طوال الوقت ولا يجدها الشرطة مباشرة.

ـ إن الشرطة لا يفكرون فى الأشياء التى يفكر بها هيركيول بوارو.

ـ ربما أكون قد مررت هناك للحظات قبل العشاء، أو ربما كان ذلك فى الليلة التى سبقت تلك الليلة، فقد كنت أرتدى يومها الثوب نفسه. نعم، أكاد أجزم أن ذلك كان فى الليلة السابقة.

قال بواروا بهدوء: لا أعتقد ذلك.

ـ لماذا؟

اكتفى بهز رأسه ببطء يمنة ويسرة، فهمست: ما الذى تعنيه؟

كانت منحنية إلى الأمام تحدق إليه وقد اندفعت الدماء إلى

وجهها. قال: ألم تنتبهى إلى أن هذه المزقة ملطخة يا آنسة؟ ومما لا شك فيه أن ما يلطخها هو دم بشرى؟

ـ هل تعنى...؟

ـ أعنى أنك كنت فى غرفة البرج ـ يا آنسة ـ بعد ارتكاب الجريمة لا قبلها، وأظن أن من الأفضل لك أن تخبرينى بالحقيقة كاملة لئلا يقع لك ما هو أسوأ.

نهض واقفًا فى تلك اللحظة، وبدا رجلاً ذا هيئة صارمة وهو يوجّه إصبع اتهام إلى الفتاة. قالت ليلى لاهثة: كيف عرفت ذلك؟

ـ ليس المهم كيف عرفت يا آنسة، فأنا هيركيول بوارو الذى يعرف كل شىء. وأعرف أيضًا كل شىء عن الكابتن همفرى نيلر، وأعرف أنك ذهبت لمقابلته فى تلك الليلة.

فجأة وضعت ليلى رأسها بين ذراعيها وانفجرت بالبكاء، فتخلى بوارو مباشرة عن موقفه الاتهامى وأخذ يربِّت على كتفها مواسيًا: هيا، هيا ياصغيرتى، لا تتألمى. يستحيل على أحد أن يخدع هيركيول بوارو، ما إن تدركى ذلك حتى تنتهى كل مشكلاتك. ستقصين الحكاية كلها علىَ الآن، أليس كذلك؟ ستخبرين بابا بوارو العجوز؟

ـ ليس الأمر كما تظن، ليس كذلك بالفعل، فأخى همفرى لم يلمس شعرة من رأس السير روبن.

ـ أخوك؟ آه، هذه هى حقيقة الوضع إذن؟ حسنًا، إذا أردت أن تدفعى عنه الشبهات فعليك أن تخبرينى بالقصة كلها الآن، ودون تحفظ.

اعتدلت ليلى فى جلستها ثانية ورفعت شعرها عن جبينها، وبعد دقيقة أو اثنتين بدأت تتكلم بصوت خفيض وواضح: سأخبرك بالحقيقة يا سيد بوارو، فأنا أدرك الآن أن من السخف أن أفعل شيئًا غير ذلك. إن اسمى الحقيقى هو ليلى نيلر، وهمفرى هو أخى الوحيد. قبل بضع سنوات، عندما كان أخى فى إفريقيا، اهتدى إلى منجم ذهب، أو بالأحرى اكتشف وجود ذهب. لن أستطيع أن أخبرك هذا المقطع من القصة كما يجب لأننى لا أفهم التفصيلات الفنية ولكن ملخص القصة هو التالى:

لقد بدا ذلك الاكتشاف ذا احتمالات كبرى، فعاد همفرى إلى الوطن حاملاً رسائل إلى السير روبن آستويل على أمل إثارة اهتمامه بالموضوع. أنا لا أفهم حتى الآن مسألة الحقوق التى تترتب على ذلك، ولكن ما فهمته هو أن السير روبن أرسل خبيرًا ليوافيه برأيه وأخبر أخى بعد ذلك بأن تقرير الخبير كان سلبيًا



وأن همفرى ارتكب خطأ كبيرًا. وبعد ذلك عاد أخى إلى إفريقيا فى بعثة داخل مجاهلها وضاعت آثاره، حتى ساد الاعتقاد بأن البعثة قد هلكت.

بعد ذلك بوقت قصير أُسست شركة لاستغلال «حقول ذهب مَبالا»، وعندما عاد أخى إلى إنجلترا استنتج مباشرة بأن حقول الذهب تلك كانت هى نفسها الحقول التى كشفها. ولم تكن للسير ربون آستويل ـ ظاهريًا ـ أية علاقة بتلك الشركة، وبدا أن هذه الشركة قد كشفت الحقول بنفسها، ولكن أخى لم يقتنع بذلك بل كان مقتنعًا بأن السير روبن خدعه عن عمد، وأصبح ـ تدريجيًا ـ أكثر تعاسة وعدوانية بسبب هذه القضية.

نحن الاثنان وحيدان فى هذا العالم يا سيد بوارو، وبما أنه كان من الضرورى بالنسبة لى آنذاك أن أخرج وأكسب لقمة عيشى، فقد خطرت لى فكرة العمل فى هذا البيت ومحاولة كشف أية علاقة محتملة بين السير روبن وشركة «حقول ذهب مبالا»، ولأسباب واضحة قمت بإخفاء اسمى الحقيقى، وأعترف ـ بصراحة ـ بأننى استخدمت رسالة تزكية مزورة.

كان هناك عدة متقدمات لشغل هذه الوظيفة وأغلبهن يتمتعن بمؤهلات أفضل من مؤهلاتى، وهكذا كتبت رسالة تزكية جميلة



من دوقة بيرتشاير التى كنت أعرف أنها سافرت إلى أمريكا. قلت فى نفسى: إن دوقة سيكون لها تأثير كبير فى الليدى آستويل. وكنت على حق تمامًا، فقد قبلت تعيينى على الفور.

ومنذ ذلك الحين قمت بذلك العمل الكريه، التجسس، ودون أى نجاح حتى عهد قريب. لم يكن السير روبن بالرجل الذى يكشف أسرار عمله، ولكن عندما عاد فكتور آستويل من إفريقيا كان أقل حذرًا فى كلامه، وبدأت أصدق بأن أخى لم يكن مخطئًا رغم كل شىء. جاء أخى إلى هنا قبل الجريمة بنحو أسبوعين، وتسللت من المنزل لمقابلته سرًا فى الليل وأخبرته بالأشياء التى قالها فكتور آستويل، فتحمس كثيرًا وأكد لى أننى أسير فى المسار الصحيح حتمًا.

ولكن بعد ذلك بدأت الرياح تجرى بما لا تشتهى سفننا، إذ أن أحدًا ـ على الأغلب ـ رآنى وأنا أتسلل من المنزل فأخبر السير روبن بذلك، فثارت شكوكه وبدأ بالبحث عن الأشخاص الذين زكّونى، وسرعان ما عرف أنهم كانوا وهميّين. وقد بلغت الأزمة ذروتها يوم مقتله. أظنه كان يعتقد أننى أسعى خلف جواهر زوجته، وبغضّ النظر عن شكوكه فقد كان عازمًا على إخراجى من مون ريبوز، مع أنه وافق على عدم مقاضاتى بسبب مسألة

رسائل التزكية المزورة. وقد وقفت الليدى آستويل بجانبى طول الوقت وواجهت السير ربون بشجاعة.

توقفت قليلاً، وكان وجه بوارو جديًا تمامًا، قال لها: والآن سنأتى إلى ليلة الجريمة يا آنسة.

ابتلعت ليلى ريقها بصعوبة وهزت رأسها ومضت تقول: علىّ أن أخبرك ـ بادئ ذى بدء ـ أن أخى حضر ثانية وأننى خطّطت للتسلل ومقابلته من جديد. ذهبت إلى غرفتى كما قلت، ولكننى لم أذهب إلى فراشى بل انتظرت حتى خُيّل إلىّ أن الجميع قد ناموا، فنزلت الدرج ثانية وتسللت إلى الخارج من الباب الجانبى حيث قابلت همفرى وأخبرته بكلمات سريعة بما حصل. أخبرته أننى أعتقد أن الأوراق التى يريدها موجودة فى خزنة السير روبن فى غرفة البرج، واتفقنا أن نقوم بمغامرة يائسة أخيرة حتى نحاول فيها الحصول على الأوراق فى تلك الليلة.

كانت خطتنا تقتضى أن أذهب أنا أولاً لأستكشف الطريق إلى الغرفة. وعند دخولى من الباب الجانبى سمعت ساعة الكنيسة تدق معلنة تمام الثانية عشرة، وبينما أنا فى منتصف الطريق على الدرج المؤدى إلى غرفة البرج سمعت صوت ارتطام شىء

يقع وصاح صوتٌ قائلاً: «يا إلهى!». بعد دقيقة أو دقيقتين فُتح باب غرفة البرج وخرج منه تشارلز ليفرسن، واستطعت أن أرى وجهه واضحًا تمامًا فى ضوء القمر، ولكننى كنت أجثم على مسافة منه أسفل الدرج فى الظلام فلم يرنى بتاتًا.

وقف هنا يترنح دقيقة على قدميه والشحوب باد عليه. بدا وكأنه يصغى، ثم بذل جهدًا لكى يتمالك نفسه ومضى ليفتح باب غرفة النوم وينادى بعبارة فحواها أنه لم يحدث هناك مكروه. كان صوته مرحًا ومبتهجًا تمامًا، ولكن وجهه كان يكذّب ذلك. وانتظر دقيقة أخرى ثم صعد الدرج ببطء واختفى. عندما ذهب انتظرت قليلاً ثم تسللت إلى باب غرفة البرج. كان لدىّ شعور بأن أمرًا مأساويًا قد حدث، وكان المصباح الرئيسى مطفأ ولكن كان مصباح الطاولة مشتعلاً، وقد رأيت على ضوئه السير روبن ممددًا على الأرض قرب المكتب. تمالكت أعصابى أخيرًا دون أن أدرى كيف استطعت ذلك، فذهبت نحوه ثم جثوت قربه، وأدركت مباشرة أنه ميت نتيجة ضربة من الخلف وأن موته لم يحدث منذ فترة طويلة، فقد لمستُ يده فوجدتها ما تزال دافئة تمامًا. وكان ذلك فظيعًا يا سيد بوارو، فظيعًا جدًا!



ارتعشت من تلك الذكرى، فنظر بوارو إليها بحدة وقال: وبعد ذلك؟

هزت ليلى مارجريف رأسها وقالت: نعم يا سيد بوارو، إننى أعرف بماذا تفكر. لماذا لم أصرخ وأوقظ من فى البيت؟ أعرف أنه كان علىّ أن أفعل ذلك، ولكن سرعان ما خطرت لى الفكرة وأنا أجثو هناك.. إن مشاجرتى مع السير روبن وتسللى للقاء همفرى، وحقيقة أننى كنت سأُصرف من المنزل فى صباح اليوم التالى، كل ذلك كانت له عواقب قاتلة. سوف يقول الجميع إننى أدخلت همفرى إلى المنزل وإن همفرى قتل السير روبن بدافع الانتقام، ولو قلت عندها إننى رأيت تشارلز ليفيرسن يغادر الغرفة لما صدقنى أحد.

كان ذلك فظيعًا سيد بوارو! كنت جاثية هناك أفكر وأفكر، وكلما زاد تفكيرى خانتنى أعصابى أكثر فأكثر. ثم لاحظت مفاتيح السير روبن وقد سقطت منه عندما سقط، وكان بينها مفتاح الخزنة، أما تسلسل أرقامها فقد كنت أعرفه من قبل إذ كانت الليدى استويل ذكرته أمامى مرة. قمت إلى تلك الخزنة وفتحتها وفتّشت فى الأوراق التى وجدتها داخلها. وفى النهاية عثرت على ما كنت أبحث عنه. كان همفرى مُحقًا تمامًا؛ كان



السير روبن يقف خلف شركة «حقول ذهب مبالا» وقد خدع همفرى متعمّدًا. ولكن هذا الاكتشاف كان من شأنه أن يزيد الأوضاع سوءًا؛ إذ أنه يمنح همفرى دافعًا قويًا وقاطعًا يبرر اتهامه بارتكاب الجريمة؛ ولذلك فقد أعدت الأوراق إلى الخزنة وتركت المفاتيح فيها، وذهبت مباشرة إلى غرفتى فى الطابق العلوى وفى الصباح تظاهرت بالمفاجأة والرعب مما حصل كأى شخص آخر عندما اكتشفت الخادمة الجثة.

توقفت ونظرت إلى بوارو مستعطفة وهى تقول: أنت لاتصدقنى يا سيد بوارو. آه، قل إنك تصدقنى، أرجوك!

- أنا أصدّقك يا آنسة؛ فقد شرحت لى كثيرًا من الأمور التى حيرتنى، مثل قناعتك المطلقة بأن تشارلز ليفرسن هو الذى ارتكب الجريمة، وأيضًا جهودك الدؤوبة لتثنينى عن القدوم إلى هنا.

هزت ليلى رأسها واعترفت بصراحة: لقد كنت خائفة منك، إذ لم تكن الليدى آستويل لتعلم (كما أعلم أنا) بأن تشارلز هو المذنب، ولم يكن بمقدورى أن أقول شيئًا. وهكذا تعلقت بأمل رفضك تولى القضية.

ـ ربما كان ذلك الحرص الواضح من طرفك هو الذى دفعنى لتولى القضية.

نظرت ليلى إليه بسرعة شفتاها ترتجفان قليلاً، ثم قالت: والآن يا سيد بوارو، ما الذى ستفعله؟

ـ فيما يخصك أنت يا آنسة لن أفعل شيئًا، فأنا أصدق قصتك وأقبلها. أما خطوتى التالية فهى الذهاب إلى لندن لرؤية المحقق ميلر.

ـ وبعد ذلك؟

ـ بعد ذلك سنرى.

خارج باب الغرفة نظر بوارو ثانية إلى مزقة الشفون الخضراء. الملطخة بالدم التى كان يمسكها بيده، ثم تمتم وهو راض عن نفسه مدهشة: عبقرى هيركيول بوارو!



(5)

لم يكن المحقق ميلر من الذين يحبون السيد هيركيول بوارو، ولم ينتم إلى تلك العصبة القليلة من محققى اسكتلنديارد الذين رحبوا بتعاون ذلك البلجيكى الضئيل، وقد اعتاد أن يقول إن هيركيول بوارو قد أُعطى أكثر من حجمه. وفى هذه القضية بالذات شعر أنه واثق تمامًا من نفسه، ولذلك فقد رحب ببوارو بروح ومعنويات عالية قائلا: أنت تعمل لحساب الليدى آستويل، أليس كذلك؟ حسنًا، لقد اخترت ملاحقة السراب فى هذه القضية.

ـ أما من شكوك محتملة فى هذا الشأن إذن؟

ـ ليس من قضية أكثر وضوحًا من هذه، لقد كاد القاتل أن يُمسك ملطَّخ اليدين بالجرم المشهود.

ـ لقد أدلى السيد ليفيرسن بشهادة كما فهمت.

ـ كان من الأفضل له أن يلتزم الصمت، إذ أنه يكرر مرة بعد مرة أنه صعد إلى غرفته مباشرة ولم يقترب من عمه أبدًا، وهذه رواية رجل معتوه.

ـ إنها لا تثبت أمام الأدلة بالتأكيد. وا كن كيف بدا لك هذا الشاب ليفرسن؟

ـ شاب لعين أبله.

ـ إنه ذو شخصية ضعيفة، أليس كذلك؟

هزّ المحقق ميلر رأسه بالإيجاب، فأضاف بوارو: من الصعوبة بمكان أن يظن المرء أن شابًا من هذا النوع يمكن أن تكون لديه... ماذا تسمى ذلك؟ قوة القلب لارتكاب جريمة كهذه.

ـ ظاهريًا هذا صحيح، ولكننا شهدنا مرارًا أشياء كهذه. بإمكانك أن تحشر شابًا ضعيفًا فى زاوية وأن تعطيه جرعة شراب أكبر من طاقته لتجعله (لمدة قصيرة من الوقت) شريرًا أشرًا. إن رجلاً ضعيفًا يُحشَر فى زاوية يكون أخطر من رجل قوى.

ـ هذا صحيح؛ نعم، ما تقوله صحيح.

استرخى ميلر قليلاً ثم قال: ولكن الأمر سيان بالنسبة لك يا سيد بوارو، فأنت ستتقاضى أجورك على أية حال، ومن الطبيعى عليك أن تتظاهر بدراسة الأدلة لتقنع سعادة الليدى إننى أفهم ذلك كله.



كانت زيارته التالية إلى المحامى الذى يمثل تشارلز ليفرسن.

كان السيد مايهيو رجلاً نحيلاً جافًا حذرًا، وقد استقبل بوارو بتحفظ، ولكن لبوارو طرقه الخاصة فى إشاعة الثقة على أى حال، ففى غضون عشر دقائق كان الاثنان يتحادثان بشكل ودى.

قال بوارو: أحيطك علمًا بأننى أعمل فى هذه القضية لمصلحة السيد ليفيرسن كليًا. هذه هى رغبة الليدى آستويل، فهى مقتنعة بأنه برىء.

ـ نعم، نعم، هذا صحيح.

قال السيد مايهيو جملته هذه بلا حماسة، فطرفت عينا بوارو وقال: أنت لاتعطى أهمية كبيرة لآراء الليدى آستويل كما يبدو، أليس كذلك؟

أجابه المحامى بجفاء: إنها متأكدة من براءته اليوم، لكن ربما تكون متأكدة من كونه مذنبًا غدًا.

ـ إن حدسها لا يشكّل دليلاً بالتأكيد، وتبدو القضية ـ فى ظاهرها ـ محسومة تمامًا ضد هذا الشاب المسكين.

ـ من المؤسف أنه أدلى بتلك الشهادة للشرطة، ولم يكن من المفيد أن يستمر بالتمسك بها.

- وهل استمر بالتمسك بها معك؟

هز مايهيو رأسه بالإيجاب وقال: لم تتغير ذرة واحدة، إنه يكررها كببغاء!

قال بوارو متأملاً: وهذا ما يضعضع ثقتك به. آه، لا تنكر ذلك.

ثم أضاف بسرعة وهو يرفع يده: إننى أرى ذلك واضحًا تمامًا؛ فأنت تعتقد فى قرارة نفسك أنه مذنب. ولكن أصغ الآن إلىّ، إلىّ أنا هيركيول بوارو، فإننى سأقدم لك قضية فعلية؛ لقد عاد هذا الشاب إلى البيت بعد أن شرب حتى الثمالة، وبهذه الحالة دخل المنزل وصعد بخطى مترنّحة إلى غرفة البرج حيث نظر من الباب فرأى فى الضوء الخافت خاله منكبًا - ظاهريًا - على مكتبه. وكما قلنا كان السيد ليفيرسن ثملاً فأطلق العنان لنفسه وأفضى لخاله بحقيقه مشاعره نحوه. تحدّاه وأهانه، وكلما أمعن خاله فى عدم الإجابة ازدادت جرأته على المضى فى تكرار شتائمه مرة بعد أخرى وصوتُه يعلو فى كل مر ة أكثر فأكثر. ولكن الصمت المستمر لخاله أيقظ إدراكه أخيرًا، فمضى إليه ووضع يده على كتفه فتداعى جسم خاله تحت ضغط لمسته وسقط مكومًا على الأرض. عندئذ صحا الشاب ليفرسن، وتحرك فأوقع الكرسى مُصدرًا صوت ارتطام بالأرض، وحين

انحنى فوق السير روبن أدرك ما حدث. نظر إلى يده المغطاة بسائل أحمر دافئ فأصابه الذعر وصرخ، ولكن سرعان ما تمنى لو يبذل كل ما على الأرض لاسترداد تلك الصرخة التى أفلتت من بين شفتيه وتردّد صداها فى المنزل. وبشكل لا إرادى أسرع خارج الغرفة ثم أصغى، إذ كان يتوهم أنه سمع صوتًا فشرع فورًا ولا إراديًا بالحديث مع خاله عبر باب الغرفة المفتوح. ولكن الصوت الذى توهمه لم يتكرر، فاقتنع بأنه قد أخطأ فى توهمه سماع ذلك الصوت. ثم ساد الصمت المكان فتسلل إلى غرفته، وخطر له فورًا أنه سيكون من الأفضل أن يدّعى أنه لم يتقرب من خاله فى تلك الليلة أبدًا، فأدلى بتلك الرواية. ولعلك تذكر أن بارسونز لم يتحدث فى ذلك الوقت بأى شىء مما سمعه، وعندما أدلى بارسونز بما سمعه كان الوقت متأخرًا بالنسبة إلى ليفرسن لتغيير إفادته. إنه غبى وعنيد إذ يتمسك بإفادته تلك. والآن أخبرنى ياسيدى، أليس هذا ممكنًا؟

- بلى، أظن أن هذا ممكن وفقًا للتسلسل الذى وضعته للأحداث.

نهض بوارو وقال: أنت تستطيع رؤية السيد ليفيرسن. اذكر أمامه القصة التى رويتها لك ثم اسأله إن كانت صحيحة أملا.

خارج مكتب المحامى أوقف بوارو سيارة أجرة وقال للسائق: خذنى إلى المنزل 348 فى شارع هارلى.

●●●

(6)

كانت مغادرة بوارو إلى لندن مفاجأة لليدى آستويل، لأن الرجل الضئيل لم يذكر شيئًا عما يعتزم فعله. وقد أخبره بارسونز لدى عودته بعد غياب استمر أربعًا وعشرين ساعة بأن الليدى آستويل تريد رؤيته بأسرع ما يمكن.

وجدها بوارو فى غرفتها مسترخية فى أريكة ومُستندة برأسها إلى الوسائد. بدت مريضة منهكة إلى حد كبير بشكل يفوق حالتها يوم وصول بوارو، واستقبلته بقولها: ها قد عدت يا سيد بوارو؟

ـ نعم، عدت يا سيدتى.

ـ هل ذهبت إلى لندن؟

هزّ بوارو رأسه بالإيجاب، فقالت بحدة: لم تخبرنى أنك ذاهب.

ـ ألف اعتذار لك يا سيدتى؛ فأنا مخطئ فى هذا. سوف أبلغك فى المرة القادمة..

قاطعته الليدى آستويل بلمسة دعابة قاسية قائلة: فى المرة القادمة ستكرر الأمر ذاته تمامًا؛ تقوم بالشىء أولاً ثم تخبر

الناس بعد ذلك. هذا هو أسلوبك؛ أليس كذلك؟ طرفت عينا بوارو وهو يقول: ربما كان هذا أسلوب سيدتى أيضًا.

ـ أحيانًا... ربما كان كذلك. ولكن لماذا ذهبت إلى لندن يا سيد بوارو؟ هل تستطيع أن تخبرنى الآن؟

ـ قابلت المفتش ملير، والمحامى الرائع مايهيو أيضًا.

بحثت عينا الليدى آستويل فى وجهه وهى تقول ببطء: والآن ماذا تعتقد؟

تركزت عينا بوارو عليها وهو يجيبها بجدية: أعتقد أن لدينا فرصة لإثبات براءة تشارلز ليفيرسن.

قفزت الليدى آستويل نصف قائمة مُوقعة وسادتين مما حولها على الأرض وهى تقول: آه، لقد كنت على حق إذن، كنت على حق!

ـ لقد قلت «فرصة» ياسيدتى، ليس أكثر.

بدا أن شيئًا فى نبرته قد أثارها، فاعتدلت على مرفقها ونظرت إليه نظرة ثاقبة، ثم سألته: أأستطيع أن أفعل شيئًا؟

ـ نعم، تستطيعين أن تخبرينى يا ليدى آستويل: لماذا تشكين فى أوين تريفوسيس؟

ـ لقد أخبرتك أننى أعرف بحدسى، هذا كل ما هنالك.

قال بوارو بجفاء: ولكن هذا غير كاف لسوء الحظ. عودى بذاكرتك إلى تلك الليلة المشؤومة يا سيدتى، تذكرى كل تفاصيلها، كل حدث صغير تافه. ما الذى رأيته أو لاحظته فى السكرتير؟ إننى ـ أنا هيركيول بوارو ـ أقول لك: لابد أنك رأيت شيئًا.

هزت الليدى آستويل رأسها بالنفى وقالت: لم أكد أنتبه إلى وجوده أصلاً فى تلك الليلة، ولم أكن أفكر فيه بالتأكيد.

ـ هل كان عقلك مشغولاً بأمر آخر؟

ـ نعم.

ـ بعداء زوجك للآنسة مارجريف؟

ـ هذا صحيح؛ يبدو أنك تعرف كل شىء عن ذلك الأمر يا سيد بوارو.

صرخ الرجل الضئيل بعظمة فارغة قائلاً: أنا أعرف كل شىء.

ـ إننى أحب ليلى يا سيد بوارو، وقد شهدت ذلك بنفسك، كان روبن قد بدأ يثير ضجة حول بعض الجهات التى زكّتها، ولعلمك: أنا لا أدّعى أنها لم تخدعنا؛ لقد خدعتنا بالفعل. ولكن يا صديقى،

لقد قمت أنا نفسى بأشياء أسوء من هذه فى أيامى الخالية، إذ كان على المرء أن يتقن كل أنواع الحيل ليكسب مديرى المسارح، ولم أكن لأتورّع عن كتابة أو قول أى شىء يومها فى سبيل ذلك. لقد رغبت ليلى فى الفوز بهذه الوظيفة وتقدمت بكثير من الرسائل المنمّقة التى لم تكن.. حينًا، لم تكن حقيقة. إن الرجال يتصرفون بحماقة تجاه مثل هذه الأمور، إذ كانت الضجة التى أثارها كفيلة بأن تجعل ليلى تتصرف فعلاً كموظف بنك يفر بالملايين التى تقع فى متناول يده! كنت قلقة جدًا طوال تلك الليلة، فرغم أننى كنت قادرة ـ فى أكثر الحالات ـ على أن أقنع روبن فى النهاية إلا أنه كان يتصرف أحيانًا بعناد رهيب... ذلك المسكين العزيز. وبالتالى فلم يكن لدى الوقت ما أراقب به أى سكرتير بالطبع، والسيد تريفوسيس شخصٌ لا يجذب الانتباه أصلاً على أى حال؛ إنه يكون موجودًا وحسب، مجرد الوجود.

ـ لقد لاحظت هذه الحقيقة فى السيد تريفوسيس؛ إنه ليس بالشخصية التى تلفت النظر أو تشعّ أو تؤثر.

ـ نعم، إنه ليس مثل فكتور.

ـ أستطيع القول إن السيد فكتور آستويل ذو شخصية متفجرة.

ـ هذا وصف رائع له، فهو يتفجر فى كل أرجاء البيت كتلك الألعاب النارية.

ـ وأعتقد أنه ذو مزاج سريع التأثر والتغير، أليس كذلك؟

ـ آه، إنه عفريت كامل عندما يغضب، ولكننى لا أخاف منه يا صديقى؛ إذ يُقال إن الكلاب التى تنبح لا تعضّ.

نظر بوارو إلى السقف وتمتم برقة: ألن تتمكنى من تذكّر أى شىء عن السكرتير فى تلك الليلة؟

ـ لقد قلت لك إننى أعرف ذلك يا سيد بوارو. إنه الحدس، حدس المرأة.

ـ حدس المرأة لا يشنق رجلاً، والأهم من ذلك أنه لا يُنقذ رجلاً من حبل المشنقة. يا سيدة آستويل، إن كنت تعتقدين ـ بصدق ـ ببراءة السيد ليفيرسن وأن شكوكك بالسكرتير تستند إلى أسس صحيحة. فهل توافقين على إجراء تجربة صغيرة؟

تساءلت اللى آستويل بريبة: من أى نوع؟

ـ هل تسمحين بأن توضعى فى حالة من التنويم المغناطيسى؟

ـ ولماذا كل ذلك؟

تقدم بوارو بجسمه إلى الأمام وقال: لعلك تشكين فى قولى إذا أخبرتك - يا سيدتى - أن حدسك مستند إلى بعض الحقائق المسجّلة فى عقلك الباطن، ولذلك سأكتفى بالقول إن هذه التجربة التى أقترحها ستكون ذات أهمية فائقة لذلك الشاب البائس تشارلز ليفرسن. هل سترفضين؟

تساءلت الليدى آستويل بارتياب: ومَن الذى سينوّمنى؟ أنت؟

- بل صديق لى ياسيدة استويل، وقد وصل فى هذه الدقيقة إن لم أكن مخطئًا إننى أسمع صوت سيارته فى الخارج.

- من هو؟

- إنه الدكتور كازاليت من شارع هارلى.

- تساءلت الليدى آستويل بقلق: وهل هو... جيد؟

- إنه ليس مشعوذًا ياسيدتى إن كان هذا ما تعنيه، تستطيعين أن تضعى نفسك بين يديه بكل أمان.

تنهدت الليدى آستويل وقالت: حسنًا، أعتقد أن هذا كله كلام فارغ، ولكن يمكن لك أن تجرب إن أردت. لن أرضى أن يقول أحدًا إننى قد عَرقلتُ عملك.

- ألف شكر لك يا سيدتى.

هرع بوارو من الغرفة وعاد بعد دقائق وهو يقود رجلاً ضئيلاً ذا وجه مرح مدوّر يضع نظارات. كان شكله مناقضًا لصورة رجل التنويم المغناطيسى كما تخيّلته الليدى آستويل، وبعد أن قدمه بوارو قالت الليدى آستويل مداعبة: حسنًا، كيف سنبدأ الجنون؟

قال الدكتور: بكل بساطة ياليدى آستويل، بكل بساطة. استلقى قليلاً هكذا... نعم، هذا جيد، لا داعى للقلق.

- لست قلقة أبدًا، ولكننى أتساءل كيف لأحد أن ينوّمنى ضد إرادتى.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور كازاليت وقال: نعم، ولكن إذا وافقت فلن يكون هذا ضد إرادتك، أليس كذلك؟ هذا جيد، هل يمكن أن تطفئ ذلك الضوء يا سيد بوارو؟ استرخى يا ليدى آستويل.

عدّل من جلسته قليلاً وبدأ يخاطبها: أصبح الوقت متأخرًا، وأنت نعسانة، نعسانة جدًا، جفناك ثقيلان، وهما يغمضان، يغمضان، يغمضان... ستنامين الآن...

ومضى صوته رتيبًا خافتًا هادئًا فى نسق واحد، ثم انحنى فرفع جفن الليدى آستويل الآيمن برقّة، ثم التفت إلى بوارو وهو

يهزّ رأسه بعلامة الرضا وقال بصوت خافت: هذا جيد، هل أبدأ إذا سمحت؟

رفع الدكتور صوته متكلمًا بحدة وبلهجة آمرة: أنت نائمة يا ليدى آستويل، ولكنك تسمعيننى وتستطيعين الإجابة عن أسئلتى.

أجاب الجسد الممدّد على الأريكة بصوت منخفض رتيب ودون أن يرفّ له جفن: أسمعك وأستطيع الإجابة عن أسئلتك.

ـ أريدك أن تعودى إلى الليلة التى قُتِل فيها زوجك. هل تذكرين تلك الليلة؟

ـ نعم.

ـ كنت على طاولة العشاء. صفى لى الذى رأيته وأحسستِ به.

تحرك الجسد الممدد قليلاً بشىء من القلق. قالت: إننى فى كرب عظيم، أنا قلقة على ليلى.

ـ نعرف ذلك، أخبرينا ماذا رأيت.

ـ فكتور يلتهم كل اللوز المملح، إنه نَهِم. سأقول لبارسونز غدًا ألا يضع الطبخ فى ذلك الطرف من المائدة.

ـ استمرى يا ليدى آستويل.

ـ روبن ذو مزاج سىء هذه الليلة. لاأظن أن ذلك كله بسبب ليلى، بل إن للأمر علاقة بعمله، وفكتور ينظر إليه بطريقة غريبة. أخبرينا عن السيد تيرفوسيس يا ليدى آستويل.

ـ إن سوار قميصه الأيسر مهترئ من الاحتكاك، وهو يضع دهونًا على شعره. أتمنى أن لا يضع الرجال دهونًا على شعرهم لأن هذا يفسد أغطية المساند فى غرفة الجلوس.

نظر كازاليت إلى بوارو فأومأ الأخير برأسه.

ـ لننتقل إلى مابعد العشاء ياليدى آستويل. أنتم تشربون القهوة، صفى لى المشهد.

ـ القهوة لذيذة هذه الليلة، وهى تختلف من يوم إلى يوم إذ لا يمكن الاعتماد على هذه الطباخة فى إعدادها. ليلى تنظر من النافذة طوال الوقت، لا أدرى لماذا. الآن دخل ربون الغرفة، إنه فى واحدة من أسوأ حالاته المزاجية هذه الليلة، وقد انفجر بسيل حقيقى من الإهانات يكيلها للسيد تريفوسيس المسكين. السيد تريفوسيس تلتفّ يده حول سكين فتح الرسائل، تلك السكين الكبيرة ذات الحد المرهف كحدّ السكين العادى. لكم يمسكها بقوة! إن مفاصل أصابعه شديدة البياض. انظر، إنه يُدخلها بقوة فى الطاولة بحيث



انقص رأسها، إنه يمسكها كما يمسك المرء بخنجر يريد طعن أحد به. ها هما قد ذهبا الآن. ليلى ترتدى ثوب السهرة الأخضر، إنها تبدو رائعة باللون الأخضر، مثل ملكة تمامًا، علىّ أن أنظف أغطية المساند فى الأسبوع المقبل.

ـ لحظة من فضلك يا ليدى آستويل.

دار الطبيب إلى بوارو وتمتم قائلاً: أعتقد أننا قد حصلنا على ما نريده، فذلك التصرف بسكين فتح الرسائل هو ما أقنعها بأن السكرتير هو الذى ارتكب الجريمة.

أجابه بوارو: دعنا نذهب الآن إلى غرفة البرج.

أهز الطبيب رأسه، وبدأ مرة أخرى بتوجيه الأسئلة إلى الليدى آستويل بصوت حاسم قوى: نحن الآن ساعة متأخرة من تلك الليلة، أنت فى غرفة البرج مع زوجك وقد جرى بينكما مشهد فظيع، أليس كذلك؟

تحرك الجسد ثانية بقلق: نعم، فظيع... فظيع. لقد تفوهنا بكلام مخيف، كلانا.

ـ لا تهتمى بذلك الآن. تستطيعين رؤية الغرفة بوضوح، كانت الستائر مسدلة والأضواء مشتعلة.



ـ لم يكن ضوء السقف مشتعلاً، بل المصباح المنضدى فقط.

ـ أنت تتركين زوجك الآن، إنك تتمنين له ليلة سعيدة.

ـ لا، لقد كنت غاضبة جدًا.

ـ إنها المرة الأخيرة التى سترينه فيها، فعمّا قليل سوف يُقتَل. هل تعلمين مَن قتله يا ليدى آستويل؟

ـ نعم، السيد تريفوسيس.

ـ لماذا تقولين ذلك؟

ـ بسبب الانتفاخ... الانتفاخ فى الستارة.

ـ هل كان هناك انتفاخ فى الستارة؟

ـ نعم.

ـ وهل رأيت ذلك؟

ـ نعم، وكدت ألمسه.

ـ هل كان هناك رجل مختبئ... السيد تريفوسيس؟

ـ نعم.

ـ كيف عرفت؟

لأول مرة تردد الصوت الرتيب وفقد ثقته: أنا... أنا... بسبب سكين فتح الرسائل.

تبادل بوارو والطبيب نظرة سريعة مرة أخرى.

ـ لا أفهمكِ يا ليدى آستويل، تقولين إنه كان فى الستارة انتفاخ وإن أحدًا اختبأ هناك. هل رأيت ذلك الشخص؟

ـ لا.

ـ وهل اعتقدت أنه تريفوسيس بسبب طريقة مسكه لسكين فتح الرسائل فى وقت سابق؟

ـ نعم.

ـ ولكن السيد تريفوسيس كان قد ذهب إلى فراشه، أليس كذلك؟

ـ بلى، بلى، هذا صحيح؛ كان قد ذهب إلى غرفته.

ـ إذن فمن غير الممكن أن يكون خلف ستارة النافذة.

ـ نعم، طبعًا، لم يكن هناك.

ـ كان قد تمنى لزوجك ليلة هانئة قبل ذلك، أليس كذلك؟

ـ بلى.

ـ وأنت لم تشاهديه مرة أخرى؟

ـ نعم، لم أشاهده.

كانت قد بدأت تتحرك وتنقلب وتئنّ بصوت خافت. قال الطبيب: إنها تصحو. حسنًا، أظن أننا حصلنا على كل ما نستطيعه، أليس كذلك؟

هز بوارو رأسه موافقًا، وانحنى الطبيب على الليدى آستويل وبدأ يتمتم بلطف: إنك تصحين، أنت تصحين الآن، وبعد دقيقة ستفتحين عينيك.

انتظر الرجلان لحظة فاعتدلت الليدى آستويل فى جلستها وحدقت إليهما قائلة: هل كنت فى إغفاءة؟

أجابها الطبيب قائلاً: تمامًا يا ليدى آستويل، مجرد إغفاءة قصيرة.

نظرت إليه وقالت: أهذه إحدى خدعك؟

ـ أرجو أنك لم تشعرى بسوء؟

تثاءبت الليدى آستويل وقالت: أشعر أننى متعبة ومنهكة.

نهض الطبيب قائلاً: سأطلب أن يرسلوا لك بعض القهوة، وسوف نتركك الآن.

عندما وصلا إلى الباب نادتهما الليدى آستويل قائلة: هل قلت أى شىء؟

ابتسم بوارو وقال: لم تذكرى شيئًا ذا أهمية كبرى يا سيدتى. لقد أخبرتنا أن أغطية المساند فى غرفة الجلوس بحاجة إلى تنظيف.

ـ إنها فعلاً كذلك، ولكنك لا تحتاج إلى تنويمى مغنطيسيًا لكى أخبرك بهذا!

ضحكت بسعادة وتساءلت: هل قلت شيئًا آخر؟

ـ هل تتذكرين أن السيد تريفوسيس أخذ سكين فتح الرسائل فى غرفة الجلوس تلك الليلة؟

ـ لا أدرى، ربما فعل ذلك.

ـ هل يعنى لك الانتفاخ فى الستارة شيئًا؟

قطبت جبينها ثم قالت ببطء: يبدو أننى أتذكر... لا، لقد ذهبت. ومع ذلك...

قاطعها بوارو بسرعة قائلاً: لا تزعجى نفسك فليس للأمر أهمية، لا أهمية له أبدًا.



ذهب الطبيب مع بوارو إلى غرفته، وهناك قال: حسنًا، أظن أن ذلك يوضح الأمور بجلاء. ما من شك فى أن السكرتير قد أمسك

بسكين فتح الرسائل عندما كان السير روبن يوبخه وأنه مارس كثيرًا من ضبط النفس ليمنع نفسه من الرد على السير روبن. لقد كان العقل الواعى للّيدى آستويل مشغولاً تمامًا بمشكلة ليلى مارغريف، ولكن عقلها الباطن لاحظ تصرف تريفوسيس وأساء تفسيره. لقد زرع هذا التصرف فى نفسها قناعة ثابتة بأن تريفوسيس هو الذى قتل روبن. ثم نأتى إلى الانتفاخ خلف الستارة... إنه أمر مثير. لقد فهمت من وصفك لغرفة البرج أن المكتب كان أمام النافذة تمامًا، وكانت توجد ـ طبعًا ـ ستارة على تلك النافذة، أليس كذلك؟

ـ بلى يا صديقى، ستارة مخملية سوداء.

ـ وهل فى عتبة النافذة متسع يسمح لشخص بأن يبقى مختبئا وراء الستارة؟

ـ هناك مكان يكفى كما أعتقد.

ـ إذن يوجد احتمال على الأقل بأن أحدًا ما كان مختبئًا فى الغرفة، فإن كان هذا صحيحًا فلا يمكن لهذا الشخص أن يكون السكرتير ما داما قد شاهداه كلاهما وهو يغادر الغرفة، ولا يمكن أن يكون فكتور آستويل لأن تريفوسيس قابله عندما كان

فكتور يغادر الغرفة، ولا يمكن لهذا الشخص أن يكون ليلى مارغريف... إذن كان ينبغى على ذلك الشخص (كائنًا مَن كان) أن يكون مختبئًا فى الغرفة قبل دخول السير روبن لها فى تلك الليلة. لقد أوضحت لى بشكل جيد حقيقة الوضع. والآن ماذا عن الكابتن نيلر؟ أيمكن أن يكون هو الذى اختبأ هناك؟

قال بوارو: كل شىء ممكن، فمن المؤكد أنه تناول عشاءه فى الفندق، ولكن من الصعوبة تحديد وقت مغادرته بعد ذلك. وقد عاد فى نحو الثانية عشرة والنصف.

- إذن يمكن أن يكون هو الذى اختبأ فى الغرفة، وبالتالى فهو القاتل. إن لديه الدافع لذلك وكان هناك سلاح قريب فى متناول يده، مع أنك لا تبدو مقتنعًا بالفكرة!

- بالنسبة لى لدىّ أفكار أخرى. أخبرنى الآن يا سيدى الطبيب: إذا افترضنا للحظة واحدة أن الليدى آستويل نفسها هى التى ارتكبت هذه الجريمة، فهل كانت بالضرورة ستكشف هذه الحقيقة وهى نائمة مغنطيسيًا؟

صفر الطبيب وقال: هذا إذن ما تفكر فيه؟ الليدى آستويل هى المجرمة، إيه؟ طبعًا هذا ممكن. لم يخطر لى هذا إلاّ الآن، فقد

كانت آخر من قابله ولم يره أحدٌ بعدها على قيد الحياة. أما فيما يخص سؤالك فإننى أميل إلى قول: لا. فى هذه الحالة كانت الليدى آستويل ستدخل فى عملية التنويم مسلَّحة بتحفّظ عقلى قوى ضد قول أى شىء عن دورها فى الجريمة؛ كانت ستجيب بصدق عن أسئلتى، ولكنها كانت ستصمت بخصوص تلك النقطة. ومع ذلك ما كنت لأتوقع - لو كانت هى القاتلة - أن تكون مصرّة على اتهام السيد تريفوسيس إلى هذه الدرجة.

- فهمت، ولكنى لم أقل إننى أعتقد أنها القاتلة... إنه مجرد اقتراح.

قال الطبيب بعد فترة من الصمت: إنها قضية مثيرة، فلو سلّمنا بأن تشارلز ليفيرسن برىء لبقيت احتمالات كثيرة: همفرى نيلر، والليدى آستويل، وحتى ليلى مارغريف.

قال بوارو بهدوء: يوجد احتمال آخر لم تذكره: فكتور آستويل. فهو قد جلس - بحسب إفادته - فى غرفته وبابها مفتوح منتظرًا عودة تشارلز ليفيرسن، ولكن ما من دليل على ذلك سوى أقواله نفسها. هل تفهمنى؟

- إنه الشخص ذو المزاج السىء الذى أخبرتنى عنه، أليس كذلك؟



ـ نعم، إنه هو.

وقف الطبيب وقال: حسنًا، ينبغى علىّ أن أعود إلى المدينة أخبرنى لاحقًا كيف ستتطور القضية.



بعد مغادرة الطبيب قرع بوارو الجرس طالبًا خادمه جورج، وقال: أريد كوبًا من شراب الزهورات يا جورج، إن أعصابى مضطربة جدًا.

ـ حاضر يا سيدى، سأعدّه على الفور.

بعد عشر دقائق أحضر لسيده فنجانًا يتصاعد منه البخار، فجعل يستنشق الأبخرة المتصاعدة بسعادة، ثم أخذ يتأمل بصوت عال وهو يرشف فنجانه: تختلف أنواع الصيد فى كل أنحاء العالم؛ فالإمساك بالثعلب يقتضى منك أن تركب حصانك وتصطحب كلاب الصيد وتصبح وتركض، إنها مسألة سرعة. أما صيد الغزلان فقد فهمت من صديقى هيستنغز (رغم أننى لم أمارسه شخصيًا) أنه يتطلب منك الزحف على بطنك لساعات وساعات. أما طريقتنا هنا ـ يا عزيزى الطيب جورج ـ فينبغى ألا تكون وفق أى من هاتين الطريقتين. دعنا نتأمل ما تفعله قطة



البيت؛ إنها تتربص لساعات طويلة مملّة أمام جحر الفأر، إنها لا تأتى بأية حركة ولا تضيع أى جهد، ولكنها تبقى متربصة لا تمل ولا تغادر!

تنهد ووضع الكوب الفارغ فى طبقه وقال لخادمه: لقد طلبت منك أن تحزم أمتعة تكفى لبضعة أيام، لكنك ستذهب غدًا إلى لندن ـ يا عزيزى جورج ـ وتحضر ما يكفى لإقامة أسبوعين آخرين.

ـ حسنًا يا سيدى.

كالعادة، لم يكن فى صوت جورج ما يشى بأى شعور.



(7)

أزعجت إقامة هيركيول بوارو التى بدت دائمة فى مون ريبوز كثيرًا من المقيمين فيه؛ فقد احتجّ فكتور آستويل لزوجة أخيه متسائلاً: حسنًا يا نانسى، إنك لا تعرفين طبيعة الرجال من نوع بوارو. لقد وجد هنا مستقرًا رائعًا مريحًا، ويبدو أنه يريد حطّ رحاله باطمئنان لمدة شهر متقاضيًا مبلغًا ذا شأن مقابل كل يوم من أيام إقامته.

وكان فحوى رد الليدى آستويل أن بوسعها أن تتدبر شؤونها بنفسها دون تدخل من أحد. أما ليلى مارغريف فقد حاولت جاهدة إخفاء قلقها؛ لقد كانت واثقة ـ فى البداية ـ من أن بوارو قد صدق قصتها، أما الآن فلم تعد متأكدة من ذلك.

لم تكن لعبة بوارو هادئة تمامًا، ففى اليوم الخامس من إقامته أحضر معه إلى العشاء ألبومًا صغيرًا مخصصًا لأخذ البصمات، وقد بدا هذا الألبوم وسيلة بدائية لأخذ بصمات المقيمين فى المنزل. ولكنه كان مفيدًا على أية حال، فما من أحد يستطيع أن

يرفض إعطاء بصماته. لذلك فإن فكتور آستويل لم يطرح وجهات نظره إلا بعدما غادر بوارو لينام: هل أدركت خطورة ذلك يا نانسى؟ إنه يسعى خلف واحد منا.

ـ لا تكن سخيفًا يا فكتور.

ـ حسنًا، فما معنى ذلك الدفتر الصغير إذن؟

ـ إن السيد بوارو يعرف ما يقوم به.

قالت الليدى آستويل ذلك راضية وهى تلقى نظرة ذات معنى إلى أوين تريفوسيس.

وفى مناسبة أخرى ابتدع بوارو لعبة نسخ آثار الأقدام على الورق. وفى الصباح التالى دخل بوارو المكتبة بخطوات خفيفة كخطوات القطة مما جعل تريفوسيس يجفل ويقفز من كرسيه وكأنه أصيب بطلق نارى، ثم يقول متكلفًا الجدية: عليك أن تعذرنى يا سيد بوارو، فقد أثرت فينا ما كان ساكنًا.

تساءل بوارو ببراءة: حقًا! كيف؟

ـ سأعترف بأننى اعتقدت أن القضية المثارة ضد تشارلز ليفيرسن شديدة الإحكام ومحسومة، ولكنك لا تعتبرها كذلك كما يبدو.

كان بوارو واقفًا ينظر من النافذة، وفجأة التفت إلى محدثه وقال: سأخبرك شيئًا يا سيد تريفوسيس، واجعله سرًا بينى وبينك.

ـ نعم؟

لم يبدُ على بوارو أنه يستعجل البدء بحديثه، فقد انتظر لحظة مترددًا، وعندما تكلم تزامنت كلماته الافتتاحية مع صوت فتح وغلق الباب الأمامى للبيت كان صوته وهو يتكلم عاليًا بالنسبة إلى شخص يفترض أنه يبوح بسر، بحيث طغى على صوت الخطوات الخارجية فى الصالة. قال: سأطلعك على هذا السر يا سيد تريفوسيس؛ لقد توفر دليل جديد يؤكد أن السير روبن كان ميتًا فعلاً عندما دخل تشارلز ليفيرسن غرفة البرج.

حدق السكرتير إليه قائلاً: أى دليل هذا؟ ولماذا لم نسمع به؟

ـ سوف تسمع به، ولكن حتى يحدث ذلك فسوف نحتفظ أنا وأنت وحدنا بهذا السر.

ثم انسلَّ من الغرفة بخفة، وكاد يصطدم فى أثناء خروجه إلى الصالة بفكتور آستويل، فقال له: هل دخلت لتوّك يا سيدى؟

هزَّ فكتور رأسه بالإيجاب وقال وهو يتنفس بصعوبة: يا له من يوم كريه فى الخارج! يوم عاصف بارد.

ـ آه، إذن لن أتنزه اليوم، فأنا كالقطة أجلس قرب النار فى نعيم الدفء.



فى تلك الليلة قال لخادمه المخلص وهو يفرك راحتيه فرحًا: إن الخطة تعمل يا جورج، إنهم متوترون جدًا. ثم تأتى الوثبة! من الصعوبة أن يلعب المرء لعبة القطة، لعبة الانتظار، ولكنها تثمر. نعم، تثمر بشكل رائع. وغدًا سنقوم باستفزاز آخر.

فى اليوم التالى اضطر تريفوسيس إلى السفر إلى المدينة، مستقلاً القطار نفسه الذى استقله فكتور آستويل. وما إن غادرا المنزل حتى تحرك بوارو فى نشاط محموم.

ـ هيا يا جورج، لنسرع إلى العمل. إذا اقتربت الخادمة من هذه الغرف فعليك تأخيرها: قل لها أى كلام تافه عذب وأبقها فى الممر.

دخل أولاً إلى غرفة السكرتير وبدأ فيها تفتيشًا دقيقًا لم يبرأ خلاله درجًا أو رفًا لم يفتشه، ثم أعاد كل شىء إلى مكانه بسر.. وأعلن الانتهاء من عمله. أطلق جورج الذى كان واقفًا بالباب براقب الممر سعلة احترام وقال: لو سمحت لى يا سيدى.

ـ نعم يا عزيزى جورج؟

ـ الأحذية يا سيدى. لقد كان زوج الأحذية البنى على الرف الثانى وكان الزوج ذو الجلد اللمّاع على الرف الأسفل، وقد قلب ترتيبهما عندما أعدت وضعهما!

صاح بوارو وهو يرفع يديه: هذا رائع! ولكن دعنا لا نزعج أنفسنا بذلك، فهى مسألة غير مهمة يا جورج. لن يلاحظ السيد تريفوسيس أبدًا أمرًا تافهًا كهذا.

ـ كما ترى يا سيدى.

قال بوارو مشجعًا وهو يربت على كتف خادمه: إن من واجبك ملاحظة أمور كهذه، لأن هذا يعطيك مزيدًا من الفضل.

لم يجب الخادم بشىء، وعندما تكرر المشهد فى وقت لاحق من ذلك اليوم فى غرفة فكتور آستويل لم يعلّق جورج على عدم إعادة ملابس آستويل الداخلية إلى أدراجها الفعلية كما يقتضى التفتيش.

ولكن الأحداث أثبتت ـ فى المرة الثانية على الأقل ـ أن الخادم كان مُحقًا وأن بوارو كان مخطئًا؛ فقد اندفع فكتور آستويل إلى غرفة الاستقبال فى تلك الليلة غاضبًا يصيح: والآن اسمع أيها

البلجيكى المغرور اللعين، ما الذى تريده من تفتيش غرفتى؟ وماذا تعتقد أنك ملاق هناك؟ لن أسمح بذلك، هل تسمعنى؟ هذا ما كسبناه من إيواء جاسوس فضولى تافه فى بيتنا.

امتدّت يدا بوارو فيما تدافعت الكلمات من فمه واحدة بعد أخرى. قدّم مئة اعتذار، ثم ألفًا، ومليونًا، مؤكدًا أنه كان طائشًا ومتطفلاً ومضطربًا، وأنه تصرف بحرية لم يمنحها إياه أحد. وفى النهاية اضطر الرجل الحانق إلى أن يخمد مدمدمًا.

ومرة أخرى تمتم بوارو فى تلك الليلة وهو يرتشف فنجان الزهورات قائلاً لجورج: إن الخطة تتقدم يا عزيزى جورج... نعم، إنها تتقدم.



(8)

قال بوارو وهو يتأمل: إن الجمعة هو يوم سعدى.

ـ حقًا يا سيدى؟

ـ يبدو أنك لا تؤمن بهذه الخرافات يا عزيزى جورج، أليس كذلك؟

ـ أفضّل يا سيد ألا أكون الثالث عشر على المائدة، كما أننى أعارض المرور من تحت السلالم، ولكن ليس عندى خرافات فيما يخص يوم الجمعة.

ـ هذا جيد، لأننا سنحقق انتصارنا اليوم.

ـ فعلاً يا سيدى؟

ـ ما هذه الحماسة التى تتأجج فيك يا عزيزى جورج؟ إنك لم تكلف نفسك عناء سؤالى عمّا أعتزم فعله.

ـ وما الذى تعتزمه يا سيدى؟

ـ سأقوم اليوم بتفتيش شامل نهائى لغرفة البرج.

وبالفعل ذهب بوارو بعد الإفطار (وبعد موافقة الليدى آستويل) إلى مسرح الجريمة، وهناك رآه الساكنون فى البيت فى أوقات مختلفة من ذلك الصباح يزحف على يديه وركبتيه ويتفحص الستائر المخملة السوداء بدقة، ويقف على كراسىّ عالية لفحص أطر اللوحات المعلقة على الجدار.

وللمرة الأولى أعربت الليدى آستويل عن عدم ارتياحها، إذ قالت علىّ أن أعترف بأنه بدأ يثير أعصابى أخيرًا. إنه يُضمر شيئًا لا أدرى ما هو، كما أن منظره وهو يزحف على الأرض هناك كالكلب يجعلنى أرتجف تمامًا. ليتنى أعرف عمّ يبحث؟ هل لك - يا عزيزتى ليلى - أن تصعدى لترى ما الذى يريده. ولكن لا، الأفضل أن تبقى معى.

نهض السكرتير عن مقعده سائلاً: هل أذهب أنا يا ليدى آستويل؟

- نعم، لو سمحت يا سيد تريفوسيس.

غادر تريفوسيس الغرفة وصعد الدرج إلى غرفة البرج، وعندما نظر داخلها اعتقد للحظة أنها فارغة، فلم يكن لهيركيول بوارو فيها أى أثر. وأوشك السكرتير أن يدور لينزل ثانية عندما سمع صوتًا، ثم ما لبث أن رأى بوارو فى منتصف الدرج

اللولبى المؤدّى إلى غرفة النوم فى الأعلى. كان جاثيًا على يديه وركبتيه رفى يده اليسرى عدسة جيب صغيرة يتفحص بها عن كثب شيئًا ما على الأرضية الخشبية قرب سجادة الدرج.

وفيما كان السكرتير يراقبه أصدر بوارو شخيرًا مفاجئًا ودسّ العدسة فى جيبه، ثم نهض على قدميه ممسكًا شيئًا بين إبهامه وسبابته. وفى تلك اللحظة انتبه إلى وجود السكرتير فقال: آه! السيد تريفوسيس، لم أسمعك تدخل.

فى تلك اللحظة كان بوارو رجلاً مختلفًا؛ تشع من وجهه ومضات النصر والابتهاج، بينما راح تريفوسيس يحدق إليه بدهشة: ما الأمر يا سيد بوارو؟ تبدو مسرورًا جدًا.

تنهد الرجل الضئيل وقال: نعم، هذا صحيح. فكما ترى، وجدتُ أخيرًا ما كنت أبحث عنه منذ البداية. إن معى الآن بين إصبعىّ هاتين الشىء الضرورى لإدانة المجرم.

رفع السكرتير حاجبيه وقال: إذن فالقاتل لم يكن تشارلز ليفيرسن؟

- إنه لم يكن تشارلز ليفيرسن. كل شىء أصبح واضحًا أخيرًا.



نزل عن الدرج وربَت على كتف السكرتير قائلاً: أنا مضطر إلى الذهاب إلى لندن فورًا، وأرجو أن تكلم الليدى آستويل نيابة عنى وتطلب منها أن يجتمع الكل فى غرفة البرج فى الساعة التاسعة من هذه الليلة. سأكون هنا فى ذلك الوقت وسوف أكشف الحقيقة، إننى مطمئن إلى ذلك تمامًا.

ثم انسلّ من غرفة البرج بحركة راقصة بديعة تاركًا تريفوسيس يحدق خلفه.

بعد دقائق ظهر بوارو فى المكتبة متسائلاً فيما إذا كان بمقدمة أحد أن يعطيه علبة كرتون صغيرة، قائلاً: للأسف لم أحمل معى شيئًا كهذا، وثمّة شىء بالغ القيمة يجب أن أضعه فى علبة الكرتون هذه.

أخرج تريفوسيس من أحد أدراج المكتب علبة صغيرة فتظاهر بوارو بأنه فرح بها كثيرًا. ثم أسرع فى صعود الدرّج حاملاً اكتشافه الثمين، والتقى بجورج فى منتصف الدرج فسلّمه العلبة وهو يقول فى هذه العلبة شىء فائق الأهمية. ضعها ـ يا عزيزى جورج ـ فى الدُرج الثانى فى طاولة الزينة فى غرفتى، قرب صندوق الجواهر.



ـ حسنًا يا سيدى.

ـ ولا تفتحها. كن حذرًا، ففى هذه العلبة ما سيؤدى إلى شنق مجرم.

ـ اطمئن يا سيدى، لا حاجة إلى التوصية.

أسرع بوارو فى نزول الدرج ثانية، حيث أخذ قبعته وغادر المنزل بركضة رشيقة.



(9)

كانت عودته أقل مظهرية، وقد استقبله جورج ـ بناء على أوامره ـ عند الباب الجانبى، فسأله بوارو: هل اجتمعوا جميعًا فى غرفة البرج؟

ـ نعم يا سيدى.

تبادل الاثنان كلمات قليلة، ثم صعد بوارو بخطوة المنتصر الواثقة إلى الغرفة التى كانت مسرحًا لجريمة القتل قبل أقل من شهر تجولت عيناه فى أرجاء الغرفة فوجدهم جميعًا هناك: الليدى آستويل وفكتور آستويل وليلى مارغريف والسكرتير، وحتى النادل بارسونز الذى كان مترددًا على باب الغرفة والذى خاطب بوارو عندما حضر قائلاً: لقد قال جورج إنك ربما احتجتنى هنا، ولا أدرى إن كان هذا صحيحًا يا سيدى؟

ـ إنه صحيح تمامًا. فلتبق، أرجوك.

ثم تقدم إلى وسط الغرفة وقال بصوت بطىء تأملى: لقد كانت هذه القضية فى غاية الإثارة، وسبب إثارتها أن أيًا منكم



كان بوسعه أن يقتل السير روبن آستويل. من الذى يرث ثروته؟ تشارلز ليفيرسن والليدى آستويل. من هو آخر من كان معه فى تلك الليلة؟ الليدى آستويل. من الذى تشاجر معه بعنف؟ أيضًا الليدى آستويل.

صرخت الليدى آستويل: ما الذى تقوله؟ إننى لا أفهم شيئًا، فأنا...

قاطعها بوارو مكملاً حديثه بصوت كئيب: ولكن شخصًا آخر تشاجر مع السير روبن وتركه فى تلك الليلة يفور غضبًا. فإذا افترضنا أن الليدى آستويل تركت زوجها حيًا فى الثانية عشرة إلاّ ربعًا من تلك الليلة لكان لدينا عشر دقائق قبل عودة السيد تشارلز ليفيرسن، عشر دقائق يمكن خلالها لشخص من الطابق الثانى أن ينزل متسللاً ويفعل فعلته ثم يعود إلى غرفته ثانية.

قفز فكتور آستويل صارخًا: ماذا تقول...؟

وغصّ بغضبه.

ـ لقد قتلت رجلاً مرة فى إفريقيا فى ثورة غضب يا سيد آستويل.

صاحت ليلى مارغريف: لا أصدق ذلك.



ثم تقدمت وقد أطبقت يديها وتوردت وجنتاها، وكررت كلامها وهى تقترب أكثر إلى جانب فكتور آستويل: لا أصدق ذلك.

قال فكتور آستويل: هذا صحيح يا ليلى، ولكن هناك أمورًا لا يعرفها هذا الرجل، فقد اعتقدت أن لقتله ما يبرره.

اقتربت ليلى من بوارو وقالت بجدية: أنت مخطئ يا سيد بوارو، فكون المرء ذا مزاج حاد وكونه يتفجر غاضبًا ويطلق لسانه بكل الكلمات الغاضبة لا يعنى أنه يمكن أن يرتكب جريمة قتل. إننى أقول لك بأننى أعرف، بل أنا متأكدة من أن السيد آستويل غير قادر على القيام بشىء كهذا.

نظر بوارو إليها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة تمامًا، ثم نظر إليها بلطف قائلاً: أترين يا آنستى؟ ها أنت أيضًا تملكين حدسك الخاص. إنك تؤمنين ببراءة السيد آستويل، أليس كذلك؟

أجابت ليلى بهدوء: إنه رجل طيب وشريف، ولم تكن له علاقة بالجانب الخفى من عمل شركة «حقول ذهب مبالا». إنه طيب تمامًا، وقد وعدته بالزواج.



تقدم فكتور آستويل منها وأخذ يدها بيده وقال: يشهد الله أننى لم أقتل أخى يا سيد بوارو.

أجابه بوارو: أنا أعلم أنك لم تقتله.

دارت عيناه فى أرجاء الغرفة، ثم قال: اسمعوا يا أصدقائى. لقد ذكرت الليدى آستويل وهى منوَّمة مغنطيسيًا أنها رأت انتفاخًا فى الستارة فى تلك الليلة.

اتجهت عيون الجميع إلى النافذة، وقال فكتور آستويل متعجبًا: أتعنى أنه كان هناك لصّ خلف الستارة؟ يا للحل الرائع!

ـ ولكنها لم تكن ستارة النافذة.

ثم دار وأشار إلى الستارة التى تغطى فتحة الدرَج الصغيرة قائلاً: لقد استعمل السير روبن غرفة النوم البديلة فى أعلى هذا الدرج فى الليلة السابقة للجريمة، وتناول إفطاره فى السرير هناك، ثم استدعى السيد تريفوسيس إليه ليعطيه تعليماته. ولا أدرى ما هو الشىء الذى نسيه السيد تريفوسيس فى غرفة النوم، ولكنه نسى شيئًا ما. وعندما قال السير روبن والليدى آستويل: «تصبحان على خير» تذكر ذلك الشىء، فصعد الدرج لإحضاره. ولا أعتقد أن أيًا من الزوج أو الزوجة قد لاحظه،



لأنهما كانا قد شرعا فى نقاش عنيف، وكانا فى أوج مشاجرتهما عندما نزل السيد تريفوسيس الدرَج ثانية. وقد كان ما يتبادله الزوجان من كلمات ذا طبيعة شخصية وخاصة، مما جعل تريفوسيس فى موقف حرج لا يُحسَد عليه، فقد أدرك ـ بوضوح ـ أنهما تخيلاه قد ترك الغرفة منذ فترة، فدفعه الخوف من إثارة غضب السير روبن إلى البقاء حيث هو على أمل التسلل لاحقًا. فلبث هناك خلف الستارة، وعندما غادرت الليدى آستويل الغرفة لاحظت فى اللاشعور تقاسيم شكله هناك.

وبعد أن غادرت الليدى آستويل الغرفة حاول تريفوسيس أن يتسلل إلى الخارج دون أن يلحظه السير روبن، ولكن حدث أن أدار السير روبن رأسه فانتبه إلى وجود السكرتير. وبما أنه كان غاضبًا أصلاً فقد بدأ يكيل الشتائم لسكرتيره واتهمه بأنه يتلصص ويتجسس عن عمد وتصميم.

سيداتى وسادتى، إننى شغوف بعلم النفس، وقد كنت أبحث طوال هذه القضية عن طبيعة غير طبيعة الرجل أو المرأة من ذوى المزاج السريع الغضب. فالمزاج الغاضب هو نفسه صمام أمان لنفسه، والكلاب التى تنبح لا تعضّ كما يُقال. لقد بحثت عن الرجل ذى المزاج الهادئ، عن الرجل الصبور الذى يتحلى بضبط

النفس، عن الرجل الذى لعب دور المُضطَهَد طوال تسع سنوات... إذ ليس من توتر أعظم من ذلك التوتر الذى استمر لسنوات طويلة، وما من استياء كذلك الاستياء الذى يتراكم ببطء.

لقد اضطهد السير روبن سكرتيره وأرهبه تسع سنوات، وطوال السنين التسع تحمّل الرجل ذلك بصمت. ولكن لابد أن يأتى يوم يصل فيه التوتر أخيرًا إلى نقطة الانفجار؛ شىء ما يتكسر، وهذا ما حصل فى تلك الليلة. لقد عاد السير روبن إلى الجلوس على مكتبه بعد توبيخ سكرتيره، ولكن الأخير بدلاً من أن يستدير ويمضى إلى الباب بتواضع وخنوع التقط الهراوة الخشبية الثقيلة وهوى بها على رأس الرجل الذى طالما اضطهده.

ثم التفت بوارو إلى تريفوسيس الذى كان يحدق إليه وكأنه قد تحول إلى تمثال حجرى، وقال له: لقد كان ادعاؤك الغياب عن مكان الجريمة بسيطًا تمامًا؛ فقد اعتقد السير آستويل أنك كنت فى غرفتك ولكنّ أحدًا لم يرك تذهب إليها، وقد كنت على وشك التسلل إلى خارج الغرفة بعد أن ضربت السير روبن عندما

سمعت صوتًا، فأسرعت فى العودة إلى مخبئك خلف الستارة، وكنت هناك عندما دخل تشارلز ليفيرسن الغرفة، وكنت هناك عندما أتت ليلى مارغريف، ولم تتسلل إلى غرفتك إلا بعد وقت طويل من ذلك بعد أن ساد الصمت فى المنزل. هل تنكر ذلك؟

بدأ تريفوسيس يتلعثم: أنا... أنا لم...

ـ آه، دعنا نكمل القصة. لقد لعبتُ دورًا مضحكًا لمدة أسبوعين، إذ جعلتُكَ ترى الشبكة تطبق عليك ببطء. أخذت بصمات الأصابع وآثار الأقدام، وفتشت غرفتك وتركت بعض الأشياء فى غير محلها عامدًا، وكنتُ فى كل ذلك أبث فيك الرعب. وقد كنت تجلس فى الليل يقظان خائفًا متسائلاً إن كنت قد تركت بصماتك فى الغرفة أو آثار أقدامك فى مكان ما. وقد استعدت مرارًا وتكرارًا أحداث تلك الليلة، وتساءلت عمّا يمكن أن تكون قد فعلته أو لم تفعله. وهكذا وضعتُك فى حالة زلّت معها قدمك. لقد رأيتُ الخوف يقفز إلى عينيك اليوم عندما التقطتُ شيئًا عن الدرج الذى وقفت عليه مختبئًا تلك الليلة، ثم قمتُ باستعراض كبير بطلبى تلك العلبة الصغيرة وإيداعها لدى جورج.

ثم التفت بوارو نحو الباب وصاح: جورج.

- إننى هنا يا سيدى.

- هل لك أن تخبر هؤلاء السادة والسيدات عن الأوامر التى أعطيتُك إياها؟

- أمرتنى أن أبقى مختفيًا فى خزانة الملابس فى غرفتك - يا سيدى - بعد وضع علبة الكرتون حيث أمرتنى أن أضعها. وفى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر اليوم دخل السيد تريفوسيس الغرفة ومضى إلى الدرج حيث أخرج العلبة المذكورة.

مضى بوارو مكتملاً: وقد كان فى تلك العلبة دبوس عادى إننى أقول الحقيقة دائمًا. لقد التقطت بالفعل شيئًا عن الدرَج صباح اليوم، وأعتقد أن مَثَلكم الإنجليزى يقول: «اعثر على دبوس والتقطه يكن حظك جيدًا اليوم». وأنا كان حظى جيدًا، إذ أننى وجدت القاتل.

ثم التفت إلى السكرتير قائلاً: هل ترى؟ لقد كشفت نفسك.

فجأة انهار تريفوسيس، فغرق فى كرسيه وهو ينشج وقد دفن وجهه بين يديه: لقد كنت مجنونًا، كنت مجنونًا، ولكن آه يا ربى كم اعتاد تعذيبى واضطهادى فوق كل احتمال! لقد كرهته

ومقتُه لسنوات طويلة.

صاحب الليدى آستويل: لقد عرفت ذلك!

ثم قفزت إلى الأمام ووجهها يشع بالانتصار وقالت: كنت أعرف أن هذا الرجل قد فعلها.

فقال لها بوارو: وقد كنت على حق. لقد برهن حدسك أنه صادق يا ليدى آستويل، لك منى أعظم التهنئة.





Agatha Christie

أربعة وعشرون شحرورا

□□

ـ لن تجد ألذّ منها! هل تأخذ الحساء أولاً أم السمك؟

درس السيد بولينغتون الأمر وقال لبوارو محذرًا (إذ رآه يتفحص قائمة المأكولات): لن تجد هنا أيًا من أصنافك الفرنسية، لا يوجد سوى الطعام الإنجليزى الطيب المطهوّ جيدًا.

لوح بوارو بيده قائلاً: لن أطمع بأفضل من ذلك يا صديقى! استلم أنت قيادى دون تحفظ.

ـ آه، حسنًا.

قالها السيد بولينغتون وأعطى المسألة جُلّ اهتمامه، وبعدها تمت تسوية هذه المسائل الخطيرة استراح السيد بولينغتون فى كرسيه متنهدًا وبسط منديله على المائدة، بينما انطلقت مولى مسرعة إلى عملها، فعلّق باستحسان: إنها فتاة جيدة، وقد كانت جميلة جدًا فيما مضى بحيث كان الفنانون يرسمونها، وهى ـ بالإضافة إلى ذلك ـ خبيرة الطعام، وهو

الأهم، إذ أن النساء لسن ذوّاقات فيما يخص الطعام عادة، وستجد كثيرًا من النسوة إذا خرجت إحداهُن مع مَنْ تحبه فلن تنتبه إلى ما تأكله بل هى ستطلب أول صنف تراه.

هزّ بوارو رأسه قائلا: هذا فظيع!

قال بولينغتون وهو يشعر بالرضا عن نفسه: إن الرجال ليسوا كذلك والحمد لله!

ـ كلهم؟

قال بوارو ذلك وطرف بعينه، فاستدرك السيد بولينغتون قائلاً: حسنًا، ربما كانوا غير ذلك فى أول شبابهم. شبان مغرورون! إن شبان هذه الأيام كلهم على نفس الشكل، يفتقرون جميعًا إلى الشجاعة والعزم، لا أحبهم!

ثم أضاف بنزاهة تامة: وهم لا يحبوننى، وربما كانوا على صواب. ولكنك لو سمعت أحدهم يتحدث لحسبت أن أحدًا لا ينبغى له أن يعيش بعد سن الستين! ولو حكم المرء بما يراه من عقليتهم لاستغرب كيف لا يُقدم هؤلاء الشبان على دفع أقربائهم المسنين إلى مغادرة هذه الدنيا!

ـ من الممكن أنهم يقومون بذلك فعلاً.

ـ إن ذلك عقلاً رائعًا يا بوارو. لقد أدى انخراطك فى العمل البوليسى، إلى تدمير مُثُلك العليا.

ابتسم بوارو وقال: ومع ذلك فإن من الجدير بالاهتمام وضع جدول بالوَفيات نتيجة الحوادث فوق سن الستين، وأنا أؤكد لك أن جدولاً كهذا سيثير علامات استفهام كثيرة فى رأسك.

ـ مشكلتك أنك بدأت تسعى إلى البحث عن الجريمة بدل انتظار حدوثها وعرضها عليك.

ـ أعتذر إذ أتكلم بوحى من مهنتى، أخبرنى ياصديقى عن أمورك، كيف تمضى الحياة معك؟

ـ فى فوضى، هذه هى مشكلة الحياة فى أيامنا، الكثير من الفوضى والكثير من الكلام المنمَّق. ويساعد الكلام المنمّق فى إخفاء الفوضى، كنكهة الصلصة القوية التى تخفى حقيقة السمكة الفاسدة! أعطنى شريحة سمك حقيقية ودعنى من فوضى الصلصة فوقها.

أعطته مولى فى تلك اللحظة مثل تلك الشريحة فهمهم مستحسنًا: إنك تعرفين تمامًا ما أحبه يا فتاتى!



- ينبغى أن أعرف ما تحب ياسيدى، فأنت تأتى إلى هنا بانتظام.

سألها هيركيول بوارو: فهل يحب الناس - إذن - الأشياء نفسها دائمًا؟ ألا يحبون بعض التغيير أحيانًا؟

- ليس الرجال ياسيدى النساء يحببن التنويع، أما الرجال فإنهم يحبون الأصناف ذاتها دومًا.

علّق بولينغتون قائلاً: ألم أقل لك؟ النساء بطبعهن غير ذوّاقات فيما يخص الطعام!

ثم أجال بصره فى المطعم وقال: العالم مضحك أحيانًا، هل ترى ذلك العجوز ذا اللحية والشكل الغريب فى الزاوية؟ بوسع مولى أن تخبرك أنه دائم الحضور إلى هذا المطعم مساء كل ثلاثاء وخميس مُنذ نحو عشر سنوات، حتى أصبح أحد معالم هذا المطعم، ومع ذلك لا يعلم أحدُ هنا اسمه أو عنوانه أو عمله. إذا فكرت بذلك ستجده غريبًا.

عندما أحضرت النادلة وجبة الديك الرومى سألها بولينغتون أرى أنكم مازلتم تستضيفون «أبانا العتيق» هناك؟

- نعم ياسيدى؛ فى كل ثلاثاء وخميس، هذان هما يوماه. إلا



أنه جاء يوم الإثنين فى الأسبوع الماضى، وقد أقلقنى ذلك تمامًا شعرت أننى مخطئة فى التاريخ وأن ذلك اليوم كان الثلاثاء دون أن أدرى! ولكنه عاد فأتى فى الليلة اللاحقة، فكان يوم الإثنين - كما يبدو - مجرد زيارة إضافية إذا صحّ التعبير.

تمتم بوارو قائلا: إنه تغيير فى عادته يبعث على الاهتمام، فما هو السبب يا ترى؟

- إنْ أردت رأيى ياسيدى، فأنا أعتقد بأنه كان منزعجًا أو قلقًا.

- ولماذا تعتقدين ذلك؟ من تصرفه؟

- لا يا سيدى، ليس تصرفه بالضبط؛ فقد كان هادئًا كعادته، إذ يكتفى بعبارة «مساء الخير» عندما يأتى وعندما يذهب. ولكن الغريب كان طلبه.

- طلبه؟

خجلت مولى وقالت: لعلكم ستسخرون منى ياسادتى، ولكن عندما يأتى أمرؤ هنا طوال عشر سنوات فلا بد لنا أن نعرف ما يحب وما يكره. لم يكن هذا العجوز يحب فطائر



الشحم أو التون البرى الأسود، ولم أره يومًا يطلب حساء ثخينًا.. ولكنه طلب فى ليلة الاثنين تلك حساء البندورة الثخين وشريحة لحم بقرى ونقانق الكلى وفطيرة محشوة بالتوت البرى الأسود.. بدا وكأنه لم يلاحظ ما الذى طلبه!

قال بوارو: هل تعلمين أننى أجد ذلك غريبًا جدًا؟

مضت مولى وهى راضية بما سمعته، فضحك هنرى بولينغتون وقال: حسنًا يا بوارو، أتحفنا ببعض استنتاجاتك المعهودة.

ـ أفضّل أن أسمع استنتاجاتك أنت أولاً.

ـ تريدنى أن أكون الدكتور واطسون؟ حسنًا، لنقل إن العجوز راجع طبيبًا فغيّر الطبيبُ نظامه الغذائى.

ـ يغير نظامه إلى حساء ثخين، وشرائح لحم ونقانق الكلى وكعك التوت البرى؟ لا أتخيل طبيبًا يصف ذلك.

ـ لا تصدق ذلك ياصديقى، فالأطباء مستعدون لنُصحك بأى شىء.

ـ أهذا هو الحل الوحيد الذى خطر ببالك؟

ـ حسنًا، لنتكلم بجد. أظن أن ثمة تفسيرًا واحدًا ممكنًا؛ وهو



صاحبنا المجهول كان فى حمأة عقلية قوية شوشتَه إلى الحد الذى لم ينتبه فعلاً لما يطلبه أو يأكله.

وصمت لحظة ثم مضى قائلاً: وأراك تخبرنى بعدها أنك تعرف تمامًا ما الذى كان يدور فى ذهنه، وربما قلت إنه كان يعتزم ارتكاب جريمة.

ثم ضحك من اقتراحه، ولكنه هيركيول بوارو لم يضحك.

اعترف بوارو بأنه كان فى تلك اللحظة قلقًا تمامًا، وقال إنه كان يُفترض فيه وقتها أن يدرك ولو طرفًا بسيطًا مما قد حدث، ولكن أصدقاءه أكدوا له أن فكرة كهذه خيالية تمامًا.



لم يلتقِ هيركيول بوارو بصديقه بولينغتون إلا بعد ثلاثة أسابيع، وكان لقاؤهما تلك المرة فى قطار الأنفاق حيث حيّا كل منهما صاحبه بهزة رأس وهما يتأرجحان وقوفًا متعلقين بالمشاكات الجلدية للعربة، ثم خرج جمع غفير فى محطة بيكاديلى فتوفرت مقاعد فى مقدمة العربة حيث يجد المرء الراحة لعدم خروج أحد أو دخوله من هناك.

قال بولينغتون: هذا أفضل. ما أشد أنانية هؤلاء الناس، إنهم لا يفسحون مجالاً فى العربة مهما ناشدتهم!

هز بوارو كتفيه استهجانًا وقال: وبأى شىء عساك بعمرك تناشدهم، بعمرك؟ لا أحد يعلم كم تطول حياته.

ـ فعلاً، لا يلبث اليوم أن يصير أمسًا دابرًا.

قالها السيد بولينغتون بنبرة كئيبة ثم أضاف: وبمناسبة الحديث عن ذلك، فهل تذكر ذلك العجوز الذى رأيناه فى مطعم غالانت أنديقر؟ أستغرب أن يكون قد اختار الدار الباقية لأنه لم يتردد على المطعم طوال أسبوع كامل، حتى أن مولى قلقة جدًا بشأن غيابه.

اعتدل بوارو فى جلسته ولمعت عيناه الخضراوان وقال: حقًا حقًا؟

فأجابه بولينغتون: هل تذكر اقتراحى بأنه قد راجع طبيبًا وغيّر نظامه الغذائى؟ أن مسألة النظام الغذائى أمر سخيف بالطبع، ولكن ربما كان قد راجع طبيبًا بخصوص حالته الصحية فقال الطبيب شيئًا أصابه بصدمة ما، وهذا ما يفسر طلبه أشياء لم يألفها دون الانتباه لما يفعله، ومن المحتمل كثيرًا أن تكون تلك الصدمة قد عجلت بخروجه من هذا العالم بأسرع مما لو لم يتلقّها، ولذلك ينبغى للأطباء أن يدققوا فيما يقولونه لمرضاهم.

ـ إنهم يدققون عادة.

ـ ها قد جاء محطتى. وداعًا، لا تفترض أننا يمكن أن نعرف أبدًا هوية ذلك العجوز، ولا حتى اسمه... علام تضحَك؟

وأسرع خارجًا من العربة، أما بوارو فبدا وهو يجلس مقطّب الجبين وكأنه لا يعتقد بأن هذا العالم مضحك فعلاً، ثم ذهب إلى بيته وأعطى بعض التعليمات لخادمه المخلص جورج.



مرّر هيركيول بوارو إصبعه على قائمة بأسماء الوفيات فى منطقة معينة، ثم توقف إصبعه وهو يردد: هنرى جازكوين، العمر تسعة وستون. سأجرب هذا أولاً:

وفى وقت لاحق من ذلك اليوم جلس بوارو مع الدكتور ماكاندرو فى عيادته فى شارع كينغز كان ماكاندرو طويلاً أحمر الشعر ذكى القسمات، وأجاب تساؤل بوارو قائلاً: جازكوين؟ نعم صحيح، ذلك العجوز غريب الأطوار كان يعيش فى أحد تلك البيوت القديمة المهجورة، التى تُدهم عادة لبناء مجمعات شقق حديثة، لم أعالجه من قبل، ولكن كنت أراه

أحيانًا وأعرفه. ولقد كان عامل الألبان هو الذى لاحظ الأمر فى البداية، إذ بدأت زجاجات الحليب المملوءة تتراكم خارج باب بيته، وبعدها أخبرجيرانه الشرطة الذين كسروا الباب ووجدوه. كان قد هوى عن الدرج فاندقّت عنقه، وكان يرتدى رداء نوم قديمًا ذا نطاق مهترئ يحتمل أن يكون قد تعثر به.

ـ هكذا إذن؟ كان الأمر بسيطًا تمامًا... مجرد حادث.

ـ نعم.

ـ هل له أقرباء؟

ـ هناك ابن أخت له كان يأتى لرؤية خالة مره فى الشهر تقريبًا، اسمه جورج لوريمر، وهو طبيب أيضًا ويقيم فى ويمبلدون.

ـ هل بدا منزعجًا لوفاة العجوز؟

ـ لا أستطيع تأكيد ذلك، أعنى أنه كان يحب خاله العجوز، ولكنه لم يكن يعرفه حق المعرفة.

ـ كم كان قد مضى على وفاة السيد جازكوين عندما رأيته؟

ـ آه، هنا نأتى إلى الجانب الرسمى.. كان قد مرّ على وفاته ما بين ثمان وأربعين ساعة واثنتين وسبعين ساعة. لقد

اكتشفت جثته صباح السادس من هذا الشهر، وكان فى جيب ردائه رسالة كُتبت فى الثالث من الشهر ووضعت فى البريد فى ويمبلدون بعد ظهر اليوم الثالث، والأغلب أنها وصلت فى نحو الساعة التاسعة والثلث مساء اليوم نفسه، وهذا يجعل وقت الوفاة بعد الساعة التاسعة والثلث من اليوم الثالث من هذا الشهر، وهو ينسجم مع ما وجدناه فى معدته من طعام ومع عمليات الهضم، إذ كان قد تناول وجبة قبل نحو ساعتين من موته. وقد فحصته صباح اليوم السادس وكانت حالته تشير إلى أن الوفاة حدثت قبل نحو ستين ساعة، أى قرب العاشرة من مساء اليوم الثالث.

ـ كل ذلك يبدو طبيعيًا ومنسجمًا. قل لى: متى شوهد حيًا لآخر مرة؟

ـ شوهد فى نحو السابعة السابعة من مساء ذلك اليوم فى شارع كنيغز، حيث تعشى فى مطعم غالانت أنديفر فى السابعة والنصف، ويبدو أنه كان يتعشى هناك فى كل ثلاثاء.

ـ أليس له أقرباء آخرون غير ابن أخته؟

ـ كان له شقيق توأم. وتبدو قصتهما غريبة تمامًا؛ فهما لم يلتقيا منذ سنوات، ويبدو أن شقيقه أنطونى جازكوين تزوج امرأة غنية جدًا وهجر الفن، وقد تشاجر الشقيقان إثر ذلك ولم يتقابلا منذ ذلك الحين كما أعتقد. ولكن الغرابة كلها فى حقيقة أنهما توفيا فى اليوم نفسه، حيث مات الشقيق الأكبر فى الساعة الثالثة من بعد ظهر الثالث من هذا الشهر! لقد مرت بى فى السابق حالة توأمين يموتان فى يوم واحد وهما فى بقعتين مختلفتين من العالم. ربما كان ذلك مصادفة، ولكنه حدث.

ـ وزوجة الشقيق الآخر، أهى على قيد الحياة؟

ـ لا، لقد ماتت منذ بضع سنين.

ـ وأين كان أنطونى جازكوين يعيش؟

ـ كان لديه بيت فى منطقة كينغستون هيل، وكان يعيش فى عزلة عن العالم كما فهمت من الدكتور لوريمر.

هزَّ بوارو رأسه مفكرًا، فيما نظر إليه الطبيب بحدة ثم سأله بفظاظة: ما الذى تفكر فيه بالضبط ياسيد بوارو؟ لقد أجبت عن أسئلتك كما يمليه علىَّ الواجب وأنا أرى الوثائق التى أبرزتها لى. ولكننى ما زلت أجهل سبب كل هذه الأسئلة.

أجاب بوارو ببطء: ما قلته يفيد بأن القضية قضية بسيطة لوفاة جاءت نتيجة حادثة، ولكن ما أفكر فيه هو أنها قضية بسيطة بنفس الدرجة، ولكنها قضية دفعة بسيطة.

جفل الطبيب ماكاندرو وقال: بكلمة أخرى: جريمة قتل! هل لديك أية أسباب لهذا الاعتقاد؟

ـ لا، إنه مجرد افتراض.

ـ ولكن لا بد من وجود سبب.

لم يتكلم بوارو، فقال ماكاندرو: إن كان الأبن الآخت لوريمر هو موضع شكوك فإننى أقول لك الآن: إنك تلاحق الشخص الخطأ. إذ أن لوريمر كان يلعب الورق فى ويمبلدون من الساعة الثامنة والنصف وحتى منتصف الليل، وقد ورد ذلك فى الاستجواب.

ـ والأغلب أن ذلك قد تم التأكد منه، فالشرطة حريصون فى هذه الأمور.

ـ هل عندك أية معلومات ضده؟

ـ لم أكن أعلم بوجوده أصلا حتى أخبرتنى أنت.

ـ فهل تشك فى شخص آخر إذن؟

ـ لا، لا، ليست هذه هى المشكلة أبدًا. إنها قضية العادات الروتينية لذلك الحيوان الذى يسمى إنسانًا. إنها قضية مهمة جدًا، والسيد جازكوين الراحل لا ينطبق وضعه ولا ينسجم. هناك خطأ ما، هل تفهمنى؟

ـ فى الواقع لا أفهم.

تمتم بوارو قائلاً: المشكلة هى أن ترى كثيرًا من الصلصة فوق السمكة الفاسدة.

ـ ماذا تعنى ياسيدى العزيز؟

ابتسم بوارو وقال: أنت توشك أن تقفل علىَّ الباب كما يُفعل بالمجانين ياسيدى الدكتور، ولكننى مصابًا بعقلى فى الحقيقة؛ فأنا مجرد رجل يحب النظام والمنهجية ويشعر بالقلق عندما يصادف حقيقة لا تنسجم معهما. علىَّ أن أطلب عفوك لما سببته لك من تعب.

نهض ونهض معه الطبيب وهو يقول: أنا ـ بصدق ـ لا أرى أى شىء يبعث على الشك فى موت هنرى جازكوين. أنا أقول إنه وقع، وتقول أنت إن شخصًا ما قد دفعه حسنًا، ربما كان كل ذلك... مجرد افتراضات.

تنهد هيركيول بوارو وقال: نعم، إنه عمل بارع. لقد قام شخص بهذه العملية بنجاح!

ـ أما زلت تعتقد...

رفع الرجل الضئيل يديه مقاطعًا: أنا رجل عنيد.. رجل يحمل فكرة صغيرة وما من شىء يدعمه! بالمناسبة، هل كانت لهنرى جازكوين أسنان اصطناعية؟

ـ لا، فقد كانت أسنانه فى حالة ممتازة، أسنان رائعة حقًا له.. هم فى مثل سنه.

ـ أكان يعتنى بها جيدًا؟ هل كانت بيضاء نظيفة؟

ـ نعم، لقد لفتت أسنانه انتباهى بشكل خاص؛ فالأسنان تميل إلى الاصفرار مع تقدم العمر، ولكن أسنانه كانت فى حالة جيدة.

ـ ألم تكن ملوَّنة بأى شكل؟

ـ لا أعتقد أنه كان مدخنًا إن كان ذلك ماتقصده.

ـ لا، لم أقصد ذلك تحديدًا. كانت مجرد رمية بعيدة ربما لا تصيب هدفها! وداعًا يا دكتور ماكاندرو، وشكرًا على لطفك.

صافح الطبيب وغادر قائلاً: والآن، إلى الرمية البعيدة.

جلس فى مطعم غالانت أنديفر على الطاولة نفسها التى جلس عليها مع بولينغتون، وقد خدمته فتاة غير مولى، فمولى كانت فى إجازة كما أخبرته الفتاة.

كانت الساعة قد بلغت السابعة تمامًا، ولم يجد بوارو أية صعوبة فى الدخول مع الفتاة فى المحاولة حول السيد جازكوين العجوز، قالت النادلة: نعم، استمر فى المجئ إلى هنا سنوات وسنوات، ولكن أيًا منا ـ نحن الفتيات ـ لم تعرف اسمه. لقد رأينا التحقيق حول وفاته فى الصحيفة حيث وضعوا صورة له، فقلت لمولى: انظرى، أليس هذا «أبانا العتيق» (كما كنا ندعوه)؟

ـ لقد تعشى هنا ليلة وفاته، أليس كذلك؟

ـ بلى، يوم الثلاثاء الثالث من هذا الشهر، حيث كان يأتى بانتظام أيام الثلاثاء.. الثلاثاء والخميس، وكان دقيقًا فى حضوره كالساعة.

ـ وهل تذكرين ما الذى تناوله على العشاء؟

ـ دعنى أتذكر... تناول حساء دجاج بالتوابل الهندية، ونقانق بقر، وفطيرة التوت الأسود والتفاح والجبن، ومن كان يظن أنه سيذهب بعدها إلى بيته ويقع من أعلى الدرج فى تلك الليلة

نفسها؟ قالوا إنه تعثر بالنطاق المهترئ لثوبه. طبعًا كانت ملابسه غريبة دومًا... بالية قديمة الطراز، وكان يلبسها كيفما اتفق. ومع ذلك فقد كان ذا هيئة توحى بأنه كان شخصًا مهمًا. آه، إن لدينا كل أنواع الزبائن الغريبين هنا.

ثم مضت، وأكل بوارو شريحة السمك التى طلبها وعيناه تشعان ببريق أخضر، قال لنفسه: غريب كيف يقع أذكى الناس فى أخطاء تفصيلية؟ سوف يستمتع بولينغتون بذلك. ولكن الوقت لم يحن ـ بعد لإجراء حوار مرفه مع بولينغتون.



لم يجد بوارو (الذى تسلح برسائل تعريف من أوساط نافذة معينة) صعوبة أبدًا فى التعامل مع محقق الوفيات فى المنطقة، وقد علق المحقق بقوله: إن الفقيد جازكوين شخصية غريبة. لقد كان عجوزًا وحيدًا غريب الأطوار، ولكن يبدو أن موته قد أثار كثيرًا من الانتباه.

كان ينظر بشىء من الفضول إلى زائره وهو يتكلم. واختار بوارو كلماته بعناية قائلاً ثمة ظروف أحاطت بموته ياسيدى، وهى تجعل من التحقيق مسألة مطلوبة.

ـ حسنًا، كيف لى أن أساعدك؟

ـ أظن أن من اختصاصك أن تأمر بإتلاف أو بحفظ الوثائق التى تبرز فى محكمتك، كما ترى الأمر مناسبًا، وهناك وسيلة معنية وجدت فى جيب رداء الميت، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح.

ـ هل كانت رسالة من ابن اخته، الدكتور جورج لوريمر؟

ـ صحيح تمامًا، وقد أبرزت الرسالة فى أثناء الاستجواب لتحديد وقت الوفاة.

ـ وتطابقت فى ذلك مع الدليل الطبى، أليس كذلك؟

ـ بالضبط.

ـ ألا تزال تلك الرسالة موجودة؟

انتظر بوارو الرد بلهفة، وعندما سمع بأن الرسالة ما زالت موجودة ويمكن له فحصها تنهد بارتياح، وعندما أحضرت له الرسالة أخيرًا تفحصها بعناية، كانت مكتوبة بخط معقَّد قليلاً وبقلم حبر، وكان نصها:

الخال العزيز هنرى:

يؤسفنى أن أبلغك بأننى لم أحقق نجاحًا فيما يخص الخال أنطونى، إذ لم يُبدِ أى حماسة لزيارة منك له، ولم يعطنى جوابًا على طلبك منه بنسيان الماضى، وفتح صفحة جديدة.

إنه مريض جدًا بالطبع، وعقله يميل إلى الخوف وأظن أن نهايته أصبحت قريبة جدًا، فقد بدا أنه لم يتذكر من أنت إلا بصعوبة.

أعتذر لفشلى فى تحقيق رغبتك، ولكننى أؤكد لك أننى بذلت قصارى جهدى.

ابن أختك المحب: جورج لوريمر.

كانت الرسالة نفسها مؤرخة فى الثالث من تشرين الثانى، وقد ألقى بوارو نظرة على ختم البريد على المغلف فقرأ: 4,30 مساء، 3 تشرين الثانى.

تمتم بوارو قائلاً: إنها وفق النظام تمامًا، أليس كذلك؟

كانت وجهته التالية هى كينغستون هيل. وبعد قليل من المتاعب ومن ممارسة الإلحاح المختلط بروح الدعابة، حصل بوارو على مقابلة مع إمليا هيل طاهية ومدبرة منزل الراحل أنطونى جازكوين،

كانت السيدة هيل ميّالة إلى العناد والتشكيك فى البداية، ولكن اللطف الساحر لهذا الأجنبى ذى الشكل الغريب كان من

شأنه أن يؤثر فى جُلمود الصخر. وهكذا بدأت إميليا هى تتخلى عن تحفظها، فقد وجدت نفسها ـ ككثير من النساء قبلها ـ تصب متاعبها فى أذن متعاطفة حقًا.

لقد تولت مسئولية منزل السيد جازكوين طوال أربعة عشر عامًا، وماكان ذلك بالعمل السهل أبدًا. كان يمكن للكثيرات أن يذبلن تحت وطأة الأعباء التى اضطرت إلى تحملها! كان الرجل المسكين غريب الأطوار، ولا يمكن إنكار ذلك، وعلى درجة كبيرة من البخل.. بل كان ذلك مرضًا فيه، وهو الرجل الغنى! ولكن السيدة هيل خدمته بإخلاص وتحملت طريقة حياته، وتوقعت منه ـ على كل حال ـ أن يترك لها «ذكرى» ولكن لا، لا شىء البتة! مجرد وصية قديمة تعطى كل أمواله لزوجته، وفى حال وفاتها قبله يؤول كل شىء لأخيه هنرى، وصية تمت صياغتها منذ سنوات طويلة، ولم تكن عادلة !

أبعدها بوارو تدريجيًا عن موضوعها الرئيسى: الجشع الذى ليس له حدود. لقد كان ذلك ظلمًا قاسيًا بالفعل، ولا يجدر أن تلام السيدة هيل على شعورها بالدهشة والأذى، فقد كان السيد جازكوين مشهورًا بأنه ذو قبضة محكمة فيما يخص إنفاق المال، بل يقال إن الرجل الميت قد رفض مساعدة أخيه

الوحيد. وربما كانت السيدة هيل تعلم كل ذلك، فقد سألت بوارو قائلة: ألهذا السبب جاء الدكتور لوريمر طالبًا رؤيته؟ لقد علمت أن الأمر يتعلق بأخيه، ولكننى ظننت أن الأمر لا يعدو رغبة أخيه فى المصالحة معه، فقد تشاجرا منذ سنوات.

ـ ولكنى فهمت أن السيد جازكوين رفض ذلك تمامًا، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح تمامًا؛ لقد قال وقتها: «هنرى؟ ما هذا الذى أسمعه عن هنرى؟ لم أره منذ سنوات ولا أريد رؤيته، إنه شخص كثير الخصام.. هكذا قال تمامًا.

ثم عاد الحديث إلى أحزان السيدة هيل الخاصة والموقف القاسى لمحامى السيد جازكوين، ووجد بوارو بعض الصعوبة فى الاستئذان اللبق الذى لا يقطع الحديث بشكل فظ.

بعد ذلك وعقب فترة الغذاء توجّه إلى شارع دورسيت فى ويمبلدون حيث مسكن الدكتور جورج لوريمر كان الطبيب فى المنزل، وقد تم إرشاد بوارو إلى العيادة الملحقة بالمنزل وأتاه الدكتور لوريمر سريعًا بعدما أنهى غذاءه كما هو واضح.

قال له بوارو: أنا لست مريضًا يا دكتور، وربما كان في حضوري إلى هنا بعض الوقاحة، ولكنني رجل عجوز أؤمن بالتعامل البسيط والمباشر ولا آبه بالمحامين وأساليبهم الملتوية.

لقد أثار اهتمام لوريمر بالتأكيد. كان الطبيب رجلاً حليقًا متوسط الطول ذا شعر بني ورموش تكاد تكون بيضاء مما يضفي على عينيه سمة الشحوب، وكان أسلوبه رشيقًا مع الدعابة. وردًا على كلام بوارو رفع الدكتور حاجبيه وقال: المحامون؟ كم أكرههم! ولكنك أثرت فضولي ياسيدي العزيز، أرجوك أن تجلس.

جلس بوارو ثم أخرج بطاقة تعريف بمهنته وناولها للطبيب طرفت رموش جورج لوريمر البيضاء فيما أحنى بوارو قامته للأمام وقال كأنه يفشي سرًا: إن العديد من زبائني نساء.

ـ هذا طبيعي.

ـ صحيح هذا طبيعي لأن النساء لا يثقن بالشرطة ويفضلن التحريات الخاصة، حيث لا يردن أن تنتشر أخبار مشكلاتهن. لقد جاءت امرأة عجوز لاستشارتي قبل بضعة أيام، وكانت

حزينة على زوجها الذي تشاجرت معه قبل سنوات. وقد كان زوجها هذا خيالك الراحل السيد جازكوين.

اصطبغ وجه جورج لوريمر بلون كالأرجوان، وهتف قائلاً خالي؟ هذا هراء! لقد ماتت زوجته منذ سنوات طويلة.

ـ ليس خالك السيد أنطوني جازكوين، بل خالك السيد هنري جازكوين.

ـ خالي هنري؟ ولكنه لم يكن متزوجًا!

ـ بل كان متزوجًا.

قالها بوارو وهو يستند بارتياح ودون تردد، ثم أضاف: ما من شك في ذلك؛ ولقد أحضرت السيدة معها عقد الزواج.

صاح جورج لوريمر وقد أصبح وجهه بلون ثمرة الخوخ، هذه كذبة! لا أصدق ذلك... إنك كاذب وقح.

ـ كم هو سيئ لك أن ترتكب جريمة من أجل لا شيء، أليس كذلك؟

ـ جريمة؟!

قالها لوريمر وقد تهدج صوته وجحظت عيناه الشاحبتان رعبا.

ـ بالمناسبة، أرى أنك قد عدت إلى أكل حلوى التوت البرى الأسود، إنها عادة سيئة، فمع أن التوت البرى الأسود ملئ بالفيتامينات كما يقال، إلا أنه ربما يكون هائلا فى بعض الأحيان وفى هذه الحالة أتصور أن التوت البرى ساعد فى وضع الحبل حول عنقك يادكتور لوريمر.



قال بوارو لصديقه بولينغتون وهو يبتسم بهدوء ويلوّح بيده مفسرًا: وهكذا ترى ياصديقى أنك أخطأت فى افتراضك الأساسى، إذ أن رجلاً يعانى من ضغط عقلى شديد لايمكن أن يعمل وهو فى حالته تلك شيئًا لم يعمله من قبل. إن ردود أفعاله تتخذ فورًا المسار الذى لا يحتوى أية مقاومة. والآن: هل يمكن لشخص يكره الحساء الثخين والنقانق المدهّنة والتوت البرى أن يطالب فجأة وفى ليلة واحدة الأصناف الثلاثة جميعًا؟ إنك تقول إن ذلك حدث لأنه كان يفكر فى أمر آخر، ولكننى أقول إن الرجل الذى يشغله شاغل فى عقله سوف يطلب آليًا الوجبة التى أعتاد أن يطلبها مرارًا!

حسنًا، إذن فما التفسير البديل لذلك؟ لم أستطع ـ ببساطة ـ أن أجد تفسيرًا معقولاً، ولذلك شعرت بالقلق! لقد كان الأمر

كله خطأ ولا ينسجم مع المنهج، وأنا ذو عقل منظم يحب أن يرى الأشياء تحدث بمنهجية، وقد أقلقنى طلب عشاء السيد جازكوين ثم قلت لى إن الرجل اختفى وغاب يومى الثلاثاء والخميس للمرة الأولى منذ سنوات، فزاد ذلك فى قلقى وأورد إلى ذهنى افتراضًا غريبًا، وهو أن الرجل ميت إذا صدق ظنى، ولذلك قمت بتحرياتى فعلمت أنه مات حقًا وأنه مات بشكل مرتب ومنظم جدًا وبكلمة أخرى: كانت السمكة الفاسدة مغطاة بالصلصة!

كان قد شوهد فى شارع كينغز فى السباعة مساء، وتناول عشاءه هنا فى السابعة والنصف، قبل ساعتين من موته، وكان كل ذلك يتطابق وينسجم بعضه مع بعض: دليل محتويات المعدة، ودليل الرسالة... كان هناك الكثير من الصلصة، حتى إنك لا تستطيع رؤية السمكة نهائيًا!

ابن الأخت المخلص كتب الرسالة، وابن الأخت المخلص كان لديه دليل على أنه كان فى مكان آخر ساعة الجريمة. وكانت الوفاة بسيطة تمامًا: سقوط عن الدرج. هل كان ذلك حادثًا بسيطًا أم جريمة قتل بسيطة؟ كان الجميع يقولون بالخيار الأول.

ابن الأخت المخلص هو القريب الوحيد الباقى على قيد الحياة ابن الأخت المخلص سيرث.. ولكن، هل كان هناك ما يمكن أن يرثه؟ لقد كان الخال معدمًا، ولكن كان هناك أخ، وأخ تزوج فى شبابه امرأة غنية، والأخ يعيش فى بيت ثمين ضخم فى كينغستون هيل، ولذلك يبدو أن الزوجة الغنية قد تركت له كل ثروتها. هل ترى السلسلة؟ الزوجة الغنية تترك المال لأنطونى، وهو يترك ماله لهنرى، وأموال هنرى تؤول لجورج... سلسلة كاملة.

قال بولينغتون بعد أن استمع إلى كل هذا الشرح: كل هذا جميل نظريًا، ولكن ما الذى فعلته عمليًا؟

ـ حالما تمتلك المعرفة فرنك تستطيع أن تمسك بما تريد. لقد مات هنرى بعد ساعتين من تناول وجبة، كان ذلك كل ما أراد التحقيق أن يهتم به. ولكن لنفترض أن تلك الوجبة كانت وجبة غداء، لا عشاء. ضع نفسك مكان جورج، فقد كان بحاجة إلى ماسة إلى المال، وكان أنطونى جازكوين يموت، ولكن موته لم يكن مفيدًا لجورج لأن أمواله ستنتقل إلى هنرى الذى يُحتمل أن يبقى على قيد الحياة سنوات، لذلك فإن هنرى يجب أن يموت أيضًا والمفضل أن يكون ذلك بسرعة. ولكن ينبغى أن

يحدث موته بعد موت أنطونى، وفى نفس الوقت كان على جورج أن يؤمن دليل غياب عن مكان الجريمة. وقد منحت عادة هنرى فى تناول عشائه فى المطعم مرتين أسبوعيًا جورج فكرة تأمين مثل ذلك الدليل، وبما أنه رجل حذر فقد حاول تجربة خطته أولاً، فتقمّص دور خاله متنكرًا مساء الاثنين فى ذلك المطعم، لم ينتبه أحد إلى الأمر ونجحت التجربة، فقد ظنه الجميع خاله، فشعر بالرضا، ولم يعد عليه سوى رؤية علامات قاطعة على أن وفاة خاله أنطونى أصبحت وشيكة، وعندما بدا خاله يحتضر كتب رسالة إلى خاله هنرى بعد ظهر الثانى من تشرين الثانى، ولكنه أرّخها فى الثالث من الشهر، ثم حضر إلى المدينة بعد ظهر اليوم الثالث فزار خاله ونفذ خطته.. دفعة قوية ويهوى الخال هنرى إلى أسفل الدرج، يبحث جورج عن الرسالة التى كتبها لخاله ليجدها ويدسها فى جيب رداء النوم الذى كان خاله يرتديه، وفى السابعة والنصف يذهب إلى معطم غالانت أنديفر بلحية وحواجب كثة وعُدة التنكر كاملة... وبذلك يبدو هنرى جازكوين على قيد الحياة فى السابعة والنصف دون شك. بعد ذلك يغير شكله ثانية وبسرعة فى أحد الحمامات، وينطلق

بأقصى سرعة سيارته إلى ويمبلدون حيث يقضي سهرة لعب الورق: إنه عذر غياب كامل عن مسرح الجريمة.

نظر إليه بولينغتون وقال: ولكن ماذا عن ختم البريد على غلاف الرسالة؟

ـ آه، كان ذلك بسيطًا؛ فقد كان الختم ملطخًا قليلاً. لماذا؟ لأنه تم تغييره بواسطة سناج المصباح من الثانى إلى الثالث من تشرين الثانى، ولم يكن المرء ليلاحظ هذا التزوير ما لم يكن يبحث عنه وأخيرًا كان هناك دليل آخر، الشحارير.

ـ الشحارير؟!

ـ «أربعة وعشرون شحرورًا مشوية فى فطرية».. كما تقول الأغنية القديمة، أو قُل «التوت الأسود» بدل الشحارير السوداء إن أردت أن تكون أكثر حرفية! لم يكن جورج ممثلاً قديرًا بدرجة كافية رغم كل شيء هل تذكر ذلك الرجل الذى طلى نفسه بالسواد لكى يمثل دور عطيل؟ إن ذلك النوع من الممثلين هو ما تحتاجه الجرائم أحيانًا. لقد بدا جورج مثل خاله ومشى مثل خاله وتكلم مثل خاله ووضع لحية وحواجب مثل لحية خاله وحواجبه، ولكنى نسى أن «يأكل» مثل خاله! لقد

طلب الأصناف التى يحبها هو، ومن المعروف أن التوت البرى الأسود يغير لون الأسنان بينما كانت أسنان الرجل الميت ناصعة البياض. وحتى لو افترضنا بأن هنرى جازكوين أكل توتًا أسود فى المطعم تلك الليلة، فكيف لم يظهر ذلك فى محتويات معدته؟ لقد سألت هذا الصباح وتأكدت أن معدته لم يكن فيها بقايا توت برى أسود. وبالإضافة إلى كل ذلك فقد كان جورج من الحماقة بحيث احتفظ باللحية وبباقى مستلزمات التنكر! لقد زرت جورج وضايقته مما أدى إلى انهياره واعترافه وانتهاء القضية. وبالمناسبة، كان قد عاد إلى أكل التوت البرى بعد ذلك. لقد كان رجلاً نهمًا لا همّ له سوى طعامه، ولا أحسب إلا أن نهمه سيؤدى به إلى حبل المشنقة، وما أظننى مخطئًا فى ذلك.

●●●



Agatha Christie

أجاثا كريستي

ولدت أجاثا كريستي Agatha Christie في عام 1890 من أب أمريكي وأم إنجليزية، عاشت في بلدة (ساوباولو) معظم طفولتها..

ففي قصصها ورواياتها كما في مسرحياتها نجد ذلك (الكم) الهائل من (الألغاز) و(الحبكات الغامضة) سواء كان ذلك في البناء القصصي أو المعمار الدرامي أو في الحوار أو الشخصيات، بل حتّى في اختيار مواقع الأحداث التي غالباً ما تكون مشوقة، أنهار لها تاريخ.. وفي العادة تلجأ الكاتبة إلى تكنيك قصصي يستند إلى (الحيلة أو الخدعة) كأسلوب إثارة وتشويق مفعم بالغموض..


9 789777 400220

دار الحياة
للنشر والتوزيع

Design